قضية العولمة

وموقف الإسلام منها

الدكتور

أمل عبد المنعم بسيوني

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامي والعربية للبنات بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد :

فقد أصبحت قضية العولمة أو مايعرف بالنظام العالمى الجديد ، تفرض نفسها على الواقع ، متجاوزة كل التقسيمات القديمة للعالم ؛ وذلك بعد أن تحول إلى مايشبه قرية كونية كبيرة بفعل التطور التقنى الهائل فى مجال الاتصالات ؛ فتكوَّن بذلك نسق جديد من العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، دخلت به الإنسانية على مشارف القرن الحادى والعشرين فى عملية تغريب وتنميط كبرى .

وهذا البحث الذى بين أيدينا هو محاولة متواضعة لفهم الوضع القائم الآن فى العالم الإسلامى فى ظل العولمة بشعاراتها البراقة من ديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، وحرية العقيدة وما إلى ذلك .

وهذه الدراسة ؛ توضح موقف الإسلام ، من العولمة ، كأحدث مانفتقت عنه العقلية الغربية فى محاولاتها المستمرة للسيطرة على العالم ، وتخليها – مؤقتاً – عن اللجوء إلى الوسائل العسكرية التقليدية ، والتمهيد لها بالوسائل الفكرية فى صورة مذاهب أو تيارات فلسفية ، أو سياسية واجتماعية ، وحتى اقتصادية ، وهو أمر مكشوف لنا جميعاً ، ومعروف لدينا بالغزو الفكرى . ومن ثم جاء البحث فى فصلين :

☜ **أما الفصل الأول** : فقد خصصته لبيان قضية العولمة تعريفاً ونشأة ، وطبيعة ، وتوضيحاً لمعالمها ، بما لها من جوانب إيجابية وأخرى سلبية مع

التأكيد على عدم وجود تعريف جامع مانع للعولمة حتى الآن ، وأن كل مايدور حولها يعد من قبيل الاجتهادات التى تعكس رؤى شخصية لأصحابها من تأييد وترويج ، أو معارضة وتحذير .

☜ **وأما الفصل الثانى** : فقد تناولت فيه – بالتفصيل – موقف الإسلام من العولمة بما لها وما عليها ، وكان له فيها رأى واضح ؛ لسبقه إلى ماتدعيه العولمة لنفسها من إيجابيات .

ولما كان الإسلام ليس مجرد طقوس شعائرية وتعبدية ، وإنما عقيدة وشريعة صالحة لقيادة الإنسانية فى كل زمان ومكان ، ومن كافة الجوانب ؛ فقد أكدت على مسؤلية الأمة الإسلامية فى الوقت الراهن ، حيث تظهر العولمة كدعوى للهيمنة النمطية فى نموذج واحد محدد سلفاً هو النموذج الغربى الأمريكى ، وهذه المسئولية التى تقع على عاتق الأمة الإسلامية ، باعتبارها خير أمة أخرجت للناس ، تفرض عليها مواجهة العولمة ، والحوار مع منظّريها ، بغية الوصول إلى الحقيقة فيها ؛ ولتضييق هوة الخلاف الواضح بيننا وبين (الآخر) فتقترب بذلك وجهات النظر ، بشرط مراعاة ماهو من الخصوصيات والثوابت العقدية التى لا نقاش حولها فى الإسلام وبالمثل ما هو مشترك إنسانى عام ، يمكن التفاعل من خلاله ، لنصل فى النهاية إلى النموذج الإسلامى الحقيقى ؛ لما ينبغى أن تكون عليه القيادة العالمية فى صورة الإسلام بعيداً عن التنميط والهيمنة وإزدواجية المعايير فى صورة عولمة .

وعلى الله قصد السبيل

دكتورة

أمل عبد المنعم بسيونى

الفصل الأول
دراسة
حول قضية العولمة

** تمهيد .

** تعريف العولمة .

** نشأة العولمة .

** طبيعة العولمة .

** أهم معالم العولمة .

** بين العولمة والعالمية .

** الخلاصة .

تمهيد :

بداية تجدر الإشارة إلى أن مفهوم العولمة يرتبط لدى بعض المحللين السياسيين (*) بالتطورات التى مرت بالبشرية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين حتى اتخذت عند هذا البعض صورة تطور طبيعى قام على مرتكزات أربعة هى : (١)

أولاً : الثورة التكنولوجية خاصة فى مجال الاتصالات والكومبيوتر والفضاء والمعلومات والنقل والمواصلات .

ثانياً : النمو الهائل والمطرد فى حجم وكفاءة الشركات العالمية التى استفادت من ثمار ثورة التكنولوجيا ، واتجاه هذه الشركات إلى غزو الأسواق الخارجية ليس عن طريق التجارة فقط ، وإنما بالانتقال كلية للعمل والإنتاج فى تلك الأسواق .

(*) سواء أكانوا مؤيدين للعولمة بلا تحفظ ويعتبرونها قدراً حتمياً لامفر من قبوله ، أم معارضين للعولمة ويعتبرونها إعادة للهيمنة الرأسمالية على العالم ، أو حتى من يقف بين هؤلاء وهؤلاء ممن يعرضون العولمة بجوانبها المختلفة بممارسة النقد المنهجى أو بدونه، ومن التيار الأول مروجا العولمة فوكوياما ، وصمويل هنتجتون ، ومن التيار الثانى عندنا فى مصر يبرر د . مصطفى النشار الذى يدعو إلى تكوين تكتل عربى إسلامى قوى فى مواجهة العولمة ، وكذا د . جلال أمين ، ود . ناصر الأنصارى .
انظر فى ذلك كل من :
١ – العولمة والطريق الثالث أ . سيد ياسين من إصدارات مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩ م .
٢ – فى مواجهة العولمة . مقال د . النشار – الأهرام ١٢ /٤ / ٩٨ .
٣ – عولمة القهر ز د . جلال أمين .
٤ – العوربة فى مقابل العولمة . د . ناصر الأنصارى وآخر .

(١) انظر تداعيات العولمة السياسية والأمنية على الدول الآسيوية ، إعداد خالد أحمد محمود وسمية محمود عفيفى ص ١٩ – سلسلة دراسات دولية معاصرة الصادرة عن الهيئة العامة للاستعلامات – مكتبة الأسرة ٢٠٠٢ م .

ثالثاً : بروز التكتلات الاقتصادية الضخمة التى سهلت تحول العالم إلى سوق اقتصادية ومالية واحدة ، وقد ظهرت هذه التكتلات بشكل متسارع ومطرد خاصة مع انهيار المعسكر الشرقى الشيوعى ، وتفكك الاتحاد السوفيتى – سابقاً – ، واتجاه دولاً أخرى – مثل الصين – إلى بناء مايسمى باقتصاد السوق الاشتراكى ونجاح تجارب النمو الرأسمالى فى شرق وجنوب شرق آسيا ، وباتت وحدة السوق العالمية بذلك مطلباً ملحاً للجميع .

رابعاً : ظهور ما يسمى بالاقتصاد الجديد فى الولايات المتحدة وبقية البلدان الصناعية المتقدمة ، ويقصد بهذا الاقتصاد ؛ اقتصاد تكنولوجيا الاتصالات والفضاء بصفة خاصة .

وفى ضوء تلك المرتكزات قد يرى البعض أن العولمة تعد ظاهرة حديثة أو جديدة ، ومما يؤيدهم فى ذلك " أن تلك الظاهرة قد استأثرت مؤخراً باهتمام كثير من الكتاب والمثقفين وأصحاب الرأى والسياسيين ورجال المال والاقتصاد . . . كما أنها أصبحت موضوعاً للعديد من المؤلفات والمقالات والأبحاث فضلاً عن تصدرها جدول أعمال المؤتمرات والندوات الدولية والإقليمية " . (١)

وعلى بركة الله تعالى نبدأ فى بيان حقيقة العولمة .

---

(١) العولمة وآثارها على أفريقيا – سلسلة دراسات مستقبلية العدد ٢ – جوزيف رامز أمين ص ٦ – القاهرة – الهيئة العامة للاستعلامات ٢٠٠١ م .

حقيقة العولمة وأهم سماتها

تعريف العولمة :

إن الباحث فى حقيقة العولمة لايسعه إلا أن يؤكد على أمرين :

أولاً : أنه حتى الآن- على الأقل - لايوجد تعريف جامع مانع لمفهوم العولمة أو حتى تعريف متفق عليه من قبل الخبراء والمتخصصين ، إذ امتلأت الساحة الفكرية بتعريفات كثيرة للعولمة ، ترد على ألسنة السياسيين والاقتصاديين والاجتماعيين ، والجميع يتفق فقط على أن (**العولمة**) مفهوم عالمى جديد بلا حدود أو مسافات فى أى شىء ، وتسوده أنماط مشتركة توحد بين جميع أجزاء العالم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا [١] بل دينياً وأخلاقياً .

ثانياً : وجود مفهوم عام وآخر خاص للعولمة :

وفى هذا السياق يمكن التمييز بين عدة تعريفات يجمع بعضها الطابع العام للعولمة ، بخلاف طابع خاص أمكن التوصل إليه .

أولاً : المفهوم العام للعولمة (العولمة الأوربية الخالصة) :

☜ يرى البعض أن العولمة : " **مفهوم مجرد لا يشير إلى موضوع ملموس ، وإنما تغير لعملية مجتمعية شاملة** " . [٢]

☜ بينما يرى البعض الآخر أن العولمة كمصطلح تعنى : " **إكساب الشيىء طابع العالمية** " **بمعنى جعل نطاق الشىء أو تطبيقه عالمياً** " .

☜ وإلى جانب ذلك ، أشار بعض الباحثين إلى أن مفهوم العولمة فى الأدبيات المعاصرة يختلف وفقا لمعتقدات وأيديولوجية كل فريق ، فالبعض يراها " **مرادفاً لسيادة منطق الربح والبقاء للأقوى من خلال تجارة السوق والمعلوماتية** " .

---

(١) انظر تداعيات العولمة السياسية والأمنية على الدول الآسيوية ، ص ٢٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢١ .

☜ بينما ينظر إليها فريق ثانى على أنها " **عملية تبادل شامل إجمالى بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها** " .

☜ وفريق ثالث ينظر إليها " **كمرادف للإمبريالية** (*) **والهيمنة فى ظل سيطرة القطب الواحد بعد انهيار القطب الشيوعى الثانى وبروز السوق الكونية بوصفها تجسيد عملى شامل عالمياً للعولمة التى تبتلع كل الانتماءات والهويات والقيم** " . (١)

☜ وهى تعنى عند فريق رابع : " **اندماج أسواق العالم فى حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال رؤوس الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقنية العالمية ، مما يؤدى إلى اختراق الحدود القومية وإلى انحسار كبير فى سيادة الدولة ، والعنصر الأساسى فى ذلك كله هو الشركات متعددة الجنسيات التى يعتبرها أصحاب هذا الرأى بمثابة رأس الحربة للعولمة** " . (٢)

هذا بخلاف تعريفات أخرى كثيرة ندور كلها حول العولمة كتجاوز للحدود السياسية والجغرافية وإطلاق العنان للاقتصاد ليلعب دوره فى تشكيل العالم ، أو توحيد كوكب الأرض فى منظومة واحدة على أساس مثلث أضلاعه الاقتصاد والمعرفة والتقدم العلمى والتكنولوجى كقولهم :

◆ إنها : " اكتساح أشياء معينة للعالم بأسره وهذه الأشياء تمثل ليس فقط سلعاً وخدمات ، بل تشمل أيضا المعلومات وقيم المجتمع الاستهلاكى ،

(*) الإمبريالية : هى مرحلة الاحتكار فى تاريخ تطور الأنظمة الرأسمالية اقتصادياً - الموسوعة الاشتراكية ص ٥٠.

(١) تداعيات العولمة ، ص ٢١ .

(٢) السوق العربية المشتركة بين التزامات منظمة التجارة العالمية ومزاياها - سلسلة دراسات مستقبلية - أ / أحمد أبو الحسن زرد ، ص ٣ : ٥ - القاهرة - الهيئة العامة للاستعلامات ٢٠٠٠ م .

وحضارة السوق " . [١]

♦ وإنها:"جنوح إلى أفعال وافتعالات ناتجة عن مصالح لفئات عالمية محدودة" [٢]

♦ وهى أيضا : " تشبيك العالم وتحويله إلى قرية صغيرة بفعل وزن كبير لأصحاب القوة والسيطرة العالمية (الدول لكبرى والشركات متعددة الجنسيات) ومن أجل مصالحهم هم على وجه الخصوص " . [٣]

وهذا المفهوم السابق وإن كان تعبيراً عن المعنى المعاصر للعولمة فى صورتها السائدة اليوم ، إلا أنه لايختلف كثيراً عن ذلك المفهوم العام ، القديم للعولمة فى صورتها الأوربية ، التى ترجع إلى قرون خمسة خلت ، بدأت مع حركة الكشوف الجغرافية ، وبزوغ الدولة القومية ، وإحلال دين وأخلاق الدولة محل دين وأخلاق المسيحية ، والدولة القومية محل الإقطاع ، والملك محل الإقطاعى [٤]

ومن الملاحظ أن كل ذلك ، كان بمثابة إرهاص للعلمانية [*] الأوربية مثلما

---

(١) العولمة – د . جلال أمين ص ١٢ – سلسلة إقرأ عدد ٦٣٦ – القاهرة – دار المعارف – د . ت

(٢) الوطنية فى مواجهة العولمة – د . محمد رؤوف حامد ص٩ سلسلة إقرأ عدد٦٤٧ – دار المعارف .

(٣) الوطنية فى مواجهة العولمة – د . محمد رؤوف حامد ص٩ .

(٤) العولمة – جلال أمين – ص ١٣ ، ١٦ .

(*) هى ترجمة لكلمة لاتينية الأصل ومعناها فى اللغات الأوربية (لادينى) وتتصل منذ نشأتها بالفصل بين الدين والدولة ، ومن هنا فهى كلمة تاريخية لها ارتباط بالبيئة التى استحدثتها ، وقد حاول مترجموها من نصارى لشام وغيرهم إخفاء حقيقتها اللادينية حتى لاتصدم الحس العربى وتبقى فى نطاق العلم ، وقد انتقلت إلى اللغة العربية والعالم الإسلامى مع ترجمات الفلسفات المادية الحديثة – انظر سقوط العلمانية – أ . أنور الجندى – ص ٧ : ٨ .

كان بالقدر نفسه إرهاصاً للعولمة الأوربية ، وكأنما كانت العلمانية بمثابة تنظير فكرى ، وأساس أيديولوجى ممهد للعولمة – العملية متعددة الاتجاهات – .

يؤكد هذا المفهوم ، أن النتائج المترتبة على الأخذ بالعلمانية فى أوربا ، من ثورة صناعية وعلمية ، أدت إلى زيادة الإنتاج ، ولأجلها كانت الهجمة الاستعمارية الأوربية ، الشرسة على العالم الإسلامى ، وآسيا وأفريقيا–عامة – ؛ كانت هى نفسها النتائج المؤدية للعولمة ؛ لإيجاد مصادر للمواد الخام الصناعية ، وفتح أسواق لتصريف المنتجات ، وبالقدر نفسه لترسيخ المبادئ – الأيديولوجية – الأوربية العلمانية ؛ لتتم بذلك العولمة الأوربية بشقيها الأيديولوجى العلمانى السابق على الشق العملى الاقتصادى ، والسياسى سواء بسواء .

ويصور المفكر الفرنسى الشهير (روجيه جارودى) المفهوم العام – الأوربى – السابق للعولمة بقوله : " أعطى الغرب الاستعمارى منذ خمسة قرون – والعرض مستمر – مثال التطرف الأكثر فتكاً ، وهو الإدعاء بامتلاك الثقافة الوحيدة الحقيقية ، الدين العالمى الوحيد ، نموذج التنمية الوحيد ، مع نفى أو تدمير الثقافات الأخرى ، الديانات الأخرى ، النماذج الأخرى للتنمية " . (١)

ويقول أيضا : " برر الغرب تسلطه على العالم ، ونهبه لثرواته ، وقمعه لحرياته باختلاقات كثيرة ، منها ماكان باسم رسالته فى قيادة العالم ومسئوليته فى نشر الحضارة ، بل وفى بعض الأحيان نشر المسيحية تحت مثل تلك الشعارات ، نهب الغرب العالم ، وأباد بعض حضاراته بمعظم أفرادها " . (٢)

وبذلك كان مفهوم العولمة من البداية ، مفهوماً أوربياً – إنجليزياً وفرنسياً

---

(١) حفارو القبور – الحضارة التى تحفر للإنسانية قبرها ص ٢٢ – ط١ – القاهرة – دار الشروق – ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

- عاماً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاتجاه الأيديولوجى العلمانى فى نفس الوقت ؛ إذ تعد العلمانية - فى رأيى - تنظيراً فكرياً للعولمة ذات الخطوات العملية السياسية والاقتصادية ، فتكامل بذلك مفهوم العلمانية الأيديولوجى والعولمة العملى ، ليكوّنا فى النهاية صورة الهيمنة الغربية على المستعمرات القديمة منذ (ق ١٧) حتى منتصف (ق ٢٠) ، ثم اتخذت العولمة بعدها مفهوماً خاصاً ، وبالتأسيس كذلك على الأساس العلمانى وبصورة أكبر وأكثر وضوحا وتركيزاً حتى كان المفهوم الخاص لها .

ثانياً : أما المفهوم الخاص للعولمة (الهيمنة الأمريكية) :

ويتمثل هذا المفهوم فى سيادة النموذج الغربى الأمريكى ، الذى فرض حلوله السياسية والعسكرية والاقتصادية ، ورآها قادته مناسبة لمشاكلهم ، ومشاكل العالم كله على السواء ، من خلال القوة العسكرية والمؤامرات السياسية ، والوفرة المادية ، والرفاهية الاقتصادية فى إطار تغليف ذلك كله بشعار من الديمقراطية (*) ومع عدم مداراة كراهية الأيديولوجيات المخالفة ، وفى مقدمتها الإسلام (١) . وتهيئة الرأى العام العالمى للهيمنة ، حتى ولو اقتضى ذلك اختراع مشاكل جديدة ، ثم السعى لحلها - أمريكيا - على طريقة أفلام رعاة البقر - الكاوبويز - . (٢)

(*) الديمقراطية : اشتقاق من كلمتين هما (ديميس) أى الشعب ، و (كراتس) أى السلطة وتعنى حكم الشعب أى اختياره لحكومته وغلبة السلطة الشعبية على الحكومة - انظر الموسوعة الاشتراكية ص ١٨٣ .

(١) انظر السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط - كمال الهلباوى ص ٤٣ - من إصدارات معهد الدراسات السياسية - القسم العربى ط ٢ - إسلام آباد - باكستان ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٣ بتصرف .

□ **ومن الجدير بالذكر** : أن هذا المفهوم الخاص ، بل الشديد الخصوصية للعولمة وهو (أمركة العالم) لم يظهر فى الساحة الدولية فجأة ، وإنما سبقته عدة أحداث تاريخية – شديدة الأهمية – سحبت بساط العولمة من تحت قدمى أوربا الغربية ، ووضعته تحت قدمى القوتين العظمتين سابقاً (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى) حتى أوائل التسعينيات ، حتى انهيار الاتحاد السوفيتى ، واستئثار الولايات المتحدة بالتوجيه العالمى – وحدها – فعلاً ، وبمشاركة أوربية غربية – إسماً – حتى نهاية حرب الخليج الثانية (١٩٩١ م) .

وأهم الأحداث العالمية التى بلورت مفهوم العولمة ، وحولته من الصيغة الأوربية إلى الصيغة الأمريكية : الحربان العالميتان الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨ م) والثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥ م) إذ كانتا سببا فى تحول المفهوم العام للعولمة من أوربا – وحدها – إلى مشاركة أمريكية ناهضة ، وبمشاركة من بعض المؤسسات الدولية التى تطلبتها ظروف مابعد الحرب ، فكانت (عصبة الأمم) هى وسيلة النظام العالمى الجديد (الأوربى – الأمريكى) بعد الحرب العالمية الأولى ، وبالمثل كانت (الأمم المتحدة) بأجهزتها المختلفة بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث لوحظ منذ ذلك الوقت – أى من خمسينيات (ق ٢٠ م) كثرة الحديث عن حقوق الإنسان فى كل مكان ، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وبالقدر نفسه الترويج لما يسمى بمبادئ العالم الحر المنتصر على (النازية) (*) (١) ومع وجود الاتحاد السوفيتى الشيوعى – السابق – والصراع

(*) النازية : كلمة ألمانية الأصل ، وهى اختصار الكلمة التى تعبر عن الوطنية الاشتراكية أى نظرية (هتلر) الزعيم الألمانى إبان الحرب العالمية الثانية ، وتقوم على تفوق الجنس الآرى عامة والألمانى منه خاصة وكان شعاره (ألمانيا فوق الجميع) [الموسوعة الاشتراكية ص ٤١٦] .

(١) العولمة – جلال أمين ص ٨ ، ٩ .

السوفيتى الأمريكى على مناطق النفوذ فى العالم الثالث ، وخاصة منابع البترول بالشرق الأوسط ، إلا أن (الولايات المتحدة) كانت أسرع القوى العظمى العالمية لاحتلال الفراغ الذى خلفته أوربا – الشبح – ، وصار الأمر وكأنما " استعمار للمنطقة يحمل عصاه ويرحل واستعمار جديد يريد أن يضع عصاه ويمكث ويملأ الفراغ " . (١)

والأكثر من ذلك أن أوربا – على الرغم من انتماء الاتحاد السوفيتى لها جغرافيا – إلا أنها لم تتوقف عن التأمرك منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فى اقتصادها ، وتقاليدها السياسية وتأثرت كثيراً أساليب حياتها بفعل الإعلام الأمريكى الضخم . (٢)

وعن المفهوم الأمريكى – غير النهائى – للعولمة ، يصرح وزير خارجية أمريكا – السابق – (دين راسك) عام ١٩٦٥ م بقوله : " إن هذا الكوكب الذى تعيش عليه – يعنى الأرض – قد أصبح صغيراً وعلى الأمريكان أن يهتموا بجميع هذا الكوكب " . (٣)

وبعد ذلك بسنوات يعبر أحد الأكاديميين فى العلوم السياسية ويدعى (ستانلى هوفمان) عن تطور مفهوم العولمة الأمريكية حيث يقول : " إن أمريكا تنظر إلى نفسها باعتبارها الأخ الأكبر لهذا العالم ولسوف يتطور هذا الوضع لتصبح الوالد له ، وأنها تسعى لكى تكون النموذج أو المعلم أو الإطار الذى يدور فيه تحسين هذا الكوكب " . (٤)

---

(١) السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ص ٣٦ .

(٢) حفارو القبور – روجيه جارودى ص ٥٩ .

(٣) نقلا عن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ص ١٧٩ .

(٤) السابق ص ١٧٩ .

ومن أهم الأحداث الدافعة نحو تبلور العولمة بمفهومها الأمريكى :

** سقوط الاتحاد السوفيتى أو (الشيطان الأحمر) كما يطلق عليه الأمريكان ، والعدو التقليدى لأمريكا ، وتحلله فى بداية التسعينيات من (ق ٢٠) ذاتياً ، وبتأثير من التدخل الأمريكى الأكيد ، لتنتهى بذلك أربعون عاماً من الحرب الباردة ، والصراع على مناطق النفوذ والبترول بين (الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة) ، بل وتحول الاتحاد السوفيتى إلى صديق أليف للولايات المتحدة . (١)

** وهذا وقد تأكدت العولمة الأمريكية فى صورتها النهائية دون منازع بعد التدخل الأمريكى فى حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ م ، بدعوى تحرير الكويت من الاحتلال العراقى ، فقد كانت تلك الحرب بمثابة استعراض نهائى للعولمة الأمريكية ، والنظام العالمى الوحيد المتسربل بالشرعية الدولية الممثلة فى الأمم المتحدة . (٢)

** ومع انهيار المعسكر الشيوعى ، وسقوط الأيديولوجية الماركسية ، كان على الغرب – عامة – والأمريكى – خاصة – البحث عن عدو جديد يوجه له أسلحته المعدة – مسبقا – بدعوى الخطورة على مصالحه ، التى لم تكن سوى نهضة شعوب العالم الثالث ، واستئثارها بخيراتها ، ورغبتها فى انفرادها بتقرير مصيرها وبالتالى صار من الواجب الأمريكى صك شعار جديد ، واختراع عدو جديد لتتوارى وراءه فى فرض عولمتها ، فكان الشعار مكافحة الإرهاب ، وعلى الأخص الإرهاب الأصولى ، وبالذات مايسمى الإرهاب الأصولى الإسلامى ، ليحل محل الإرهاب الشيوعى .

---

(١) انظر الإسلام وحدائق الشيطان أ . محمد عبد المنعم – القاهرة – من إصدارات مهرجان القراءة للجميع عام ٢٠٠٠ م . ص ٩٧ .

(٢) السياسة الأمريكية ص ١٦٧ .

■ ■ " فالآن يوصف كل شيء يتعلق بالدين الإسلامي بالإرهاب . . لا فرق في نظر هذه الحملة الدعائية الضارية بين أعمال العنف والإجرام التي تنسب نفسها أو ينسبها غيرها إلى الإسلام ، وبين أي حركة سياسية تدعو لتطبيق المبادىء الإسلامية والشريعة ، وبين محض التدين وممارسة الفروض الدينية اليومية " . (١)

وعلى ذات المنوال وفي مجال تنسيق الجهود العلمانية والعولمية يردد العلمانيون في مصر تلك الاتهامات ، وأكثر للاتجاه الإسلامي ودعوته ؛ للحيلولة دون الأخذ به أو بتوجيهه في طور من تكملة الدور القديم الجديد ضد الإسلام ، العدو الجديد للحلف العلماني العولمي الأوربي الأمريكي .

---

(١) عولمة القهر - د . جلال أمين ص ١٩ : ٢١ ط١ - القاهرة - دار الشروق - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .

نشأة العولمة :

وإذا كانت العولمة ظاهرة حديثة النشأة كما يراها البعض إلا أن هناك رأيين فى نشأتها :

☜ **الرأى الأول** : ويرى أصحابه أن العولمة بدأت نشأتها بظهور الدول القومية فى منتصف القرن الثامن عشر من خلال مراحل خمس هى :

أ – **المرحلة الجنينية** : من ق ١٥ إلى منتصف ق ١٨ م فى أوربا ، حيث شهدت المجتمعات القومية نمواً واضحاً ، كما تعمقت الأفكار الخاصة بالفرد والإنسانية .

ب – **مرحلة النشوء** : واستمرت كذلك فى أوربا من منتصف ق ١٨ م وحتى عام ١٨٧٠ وما بعده حين حدث تبلور فى المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية ، وزادت الاتفاقات الدولية ، ونشأت المؤسسات الخاصة بتنظيم العلاقات والاتصالات بين الدول .

ج – **مرحلة الانطلاق** : وقد استمر منذ عام ١٨٧٧ إلى العشرينات من ق ٢٠ م إذ ظهرت مفاهيم كونية كالمجتمع الدولى ، وحدث تطور هائل فى سرعة وعدد الأشكال الكونية وتمت فيها المنافسات الكونية كالألعاب الأوليمبية ، وجوائز نوبل ، ونشأ فى إطار هذه المرحلة الحرب العالمية ، وعصبة الأمم .

د – **مرحلة الصراع من أجل الهيمنة** : واستمرت منذ العشرينات فى ق ٢٠ وحتى منتصف الستينيات [١] ، وبدأت الخلافات والحروب الفكرية حول المصطلحات الناشئة لعملية العولمة وفيها تمت العديد من الأحداث العالمية كإلقاء القنبلة الذرية على اليابان وظهور دور الأمم المتحدة .

---

(١) انظر العولمة والطريق الثالث أ . سيد ياسين ص ٢٤ ومابعدها ، وكذا دور الدولة والمؤسسات فى ظل العولمة ، د . فتحى أبو الفضل وآخرين ص ٢٤ : ٢٥ .

هـ - **مرحلة عدم اليقين** : وقد استمرت منذ الستينيات حتى التسعينيات ، وفيها تم إدماج دول العالم النامى والثالث فى المجتمع العالمى وحدث فيها غزو الفضاء ، ونهاية الحرب الباردة وانتشرت الأسلحة الذرية . . . إلخ . (١)

☜ **الرأى الثانى** : فذهب إلى أن العولمة بدأت تتشكل فقط قبل منتصف القرن العشرين ، وبالتحديد منذ بداية الحرب الباردة بين الكتلتين الغربية والشرقية ، وأنها أخذت تتطور بمرور الوقت إلى أن اتضحت معالمها فى بداية التسعينات من القرن العشرين مروراً بأكثر من مرحلة :

أ - **المرحلة الأولى** : بدأت منذ الحرب الباردة بين الكتلة الشرقية الشيوعية ، والكتلة الغربية الرأسمالية ، وفيها حاولت كل كتلة نشر وتعميق أيديولوجيتها - أفكارها - الخاصة ، وإظهار عيوب الأخرى .

ب - **المرحلة الثانية** : منذ بداية التسعينات فى ق ٢٠ ، بعد انهيار الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة .

ويرى أصحاب هذا الرأى الثانى أن مصطلح العولمة ظهر لأول مرة فى خطاب للرئيس الأمريكى جورج بوش - الأب - فى خطاب له عام ١٩٩٢ م ، عرفها عرضها العالم ، وأخذت تنمو وتزداد وضوحاً ، ومن وقتها والمفكرون يعكفون على تحليلها وتحديد مظاهرها وآثارها والقوى الفاعلة فيها .

ج - **المرحلة الثالثة** : بدأت منذ عام ١٩٩٩ بفشل المؤتمر الوزارى الثالث لمنظمات التجارة العالمية فى (سياتل) بأمريكا وقيام مظاهرات - لأول مرة - ضد العولمة فى شتى بقاع الأرض كنوع من التعبير عن رد فعل بعض شعوب العالم تجاه العولمة الشرسة التى تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ولفت الأنظار إلى أحوال العمال السيئة وزيادة البطالة .

---

(١) انظر العولمة والطريق الثالث أ . سيد ياسين ص ٢٤ وما بعدها .

د - **المرحلة الرابعة** : وبدأت منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م عندما تم توجيه ضربات مدمرة لمركز التجارة العالمى فى نيويورك ، ومبنى البنتاجون فى واشنطن . (١)

■■ **وفى رأيى الشخصى** أن الرأيين السابقين كلاهما صحيح ، إذ حاول أصحاب الرأى الأول إضفاء نوع من الأصالة على العولمة بينما أراد الثانى القول بحداثتها . إلا أننى أميل إلى الرأى الأول خاصة إذا اعتبرنا أن للعولمة مفهوم عام وآخر خاص على النحو السابق ذكره . .

أما المفهوم العام : فهو الذى يرى أصحابه أن العولمة فى صورتها السائدة اليوم هى فى حقيقتها أوربية خالصة ترجع إلى قرون خمس خلت .

طبيعة العولمة :

وبناء عليه لقد قيل أن للعولمة طبيعة خاصة وأنها تنقسم بحسب طبيعتها إلى :

** **عولمة شرسة** Brutish Globalization .

** **عولمة متوازنة** Balanced Globalization .

والأولى - الشرسة - : تستهدف تحقيق مصالح الدول المتقدمة من خلال آليات محددة ومعروفة مثل منظمة التجارة العالمية - مثلا - وبسبب مايعتمد عليه من سيطرة التكنولوجيا الحديثة فى التصنيع وإنتاج سلع وخدمات بجودة عالية وبالتالى يتحقق لها فتح أسواق فى الدول النامية بسهولة والسيطرة عليها .

وكذلك من خلال اندماج شركات متعددة الجنسيات ذات أصول رأسمالية اقتصادية ضخمة يستطيع بها احتكار أسواق العالم وتسويق منتجاتها .

أما الثانية - المتوازنة - : فقيل بأنها التى تأخذ فى اعتبارها النواحى الاجتماعية للشعوب ومصالح دول الجنوب بجانب مصالح دول الشمال " فليس

---

(١) انظر دور الدولة والمؤسسات فى ظل العولمة ص ٢٥ وما بعدها .

المهم هو تحقيق أقصى أرباح ممكنة فقط ؛ بل لابد من أخذ أشياء مهمة جداً فى الاعتبار مثل عدد العاطلين عن العمل وكيفية اشراكهم فى التنمية وتعويضهم " . (١)

ثالثاً : أهم معالم العولمة :

منذ بداية التسعينات ، وخاصة بعد حرب الخليج الثانية ١٩٩١م بدأت ملامح العولمة فى الانجلاء بمساعدة المنظمات الدولية المختلفة .

**** أما العولمة الاقتصادية : Economic Globalization**

عرفت العولمة الاقتصادية بأنها : " مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالى العالمى وفيها تذوب الشئون الاقتصادية للدولة القومية فى الإطار العالمى دون اعتبار للحدود السياسية للدول .

وفيها ينتقل الإنتاج الرأسمالى من عالمية التبادل والتوزيع إلى عالمية الإنتاج وإعادة الإنتاج فى ظل هيمنة الدول المتقدمة والشركات متعددة الجنسيات " . (٢) ويعتمد هذا النوع من أنواع العولمة على آليات خاصة مثل :- التكتلات الاقتصادية الكبرى (*) ، والمنظمات الاقتصادية العالمية (*) ، والشركات دولية النشاط . (٣)

والعولمة الاقتصادية هى أوضح وجوه العولمة وأصرحها ؛ بحيث أتت

---

(١) دور الدولة والمؤسسات ص ٣٦ ، وكذا انظر نفس المصدر ص ٣٤ .

(٢) دور الدولة والمؤسسات ص ٢٩ .

(*) من أمثلتها : كتلة أوربا الموحدة union Europe بقيادة فرنسا وألمانيا _ والنافتا Nafta بقيادة الولايات المتحدة ، ومنظمة الآسيان Asean بقيادة ماليزيا وأندونيسيا .

(*) مثل : البنك الدولى Ibcd ، وصندوق النقد الدولى Imf ، ومنظمة التجارة العالمية Wto .

(٣) دور الدولة والمؤسسات ص ٢٩ .

سائر وجوهها لخدمة هذا الوجه الاقتصادى – الليبرالى – الربوى .

وتقوم العولمة الاقتصادية على النظام الاقتصادى – الحـــر – للولايـــات المتحدة ، باعتباره المنظومة الاقتصادية المثلى ، التى يقودها المنطق التكنولوجى التجارى ، والوحيد الذى يحقق الرفاهية الإنسانية وذلك بعقد اتفاقيات اقتصادية خاصة ، وممارسات نقدية معينة لصندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى ، ونشـــر نظام الخصخصة ، وبيع الشركات الوطنية – بدعوى الخسارة – لمجموعة من المستثمرين العالميين بتسهيلات كبيرة ، واحتكار رؤوس الأموال للطاقة البشرية فى دول العالم الثالث ، وتطويع العقل والوجدان الإنسانى – عامة – للتعايش مع النظام الاقتصادى الجديد ، وتخليق إنسان ذى هوس استهلاكى ، وفراغ عقلـــى ووجدانى [١] ، فاقد لأية مناعة ضد عملية التنميط والقولبة الاقتصادية ، وبـــذلك تحولت العولمة الاقتصادية إلى هيمنة بكل ماتعنيه الكلمة .

حتى قيل : " كما حلت الدولة محل الاقطاعيات تدريجياً منذ خمسة قرون ، تحل اليوم الشركة متعددة الجنسيات تدريجيا محل الدولة . . بل أصبح العالم كله مجال التسويق . . فقفزت الشركة المنتجة فوق أسوار الدولـــة ، وأخـــذت هـــذه الأسوار تفقد قيمتها الفعلية ، بل أصبحت أكثر فأكثر أسواراً شكلية " . [٢]

وفى إطار المحاولات الفجة لفرض ، وترســـيخ العولمـــة علـــى العـــالم ووضعها فى ثوب منطقى علمى وفلسفى حتمى ، ظهر كاتب أمريكى – يابـــانى الأصل – يدعى (فوكوياما) عام ١٩٩٠م بكتابه (نهاية التاريخ) ، وتبعه مقال

---

(١) انظر فى ذلك كل من : أمريكا طليعة الانحطاط – روجيه جارودى – ص ٤٨ القاهرة – دار الشروق – ١٤٢٠ هـــ – ١٩٩٩ م . وكذلك مقال عن (الإعلام الإسلامى وتحديات العولمة) بقلم أ . جمال سلطان – المنشور بالعدد ١٧٠ من مجلة البيان الصـــادرة عـــن المنتدى الإسلامى بلندن . ص ٧٠ .

(٢) العولمة ، د . جلال امين ص ٢٧ .

لآخر يدعى (صمويل هنتجتون) عن (صراع الحضارات) عام ١٩٩٣ م ، للترويج للنظام الأمريكى وتصوير الليبرالية الأمريكية – سياسيا واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً . . الخ – بأنها النظام الأصلح لكل زمان ومكان ، وأن الغرب – عامة – هو أصلح الحضارات والثقافات ، والأمريكى منه خاصة هو الوحيد الجدير بالبقاء ، وأنه على جميع البشر أن يدركوا أن الظروف لم تعد تسمح بالتمسك بأفكار بالية – دينية أو قومية – ترفض التبعية ، وتناهض الاستعمار ، وأن الاعتبار الوحيد الجدير بالاهتمام هو اعتبار المصلحة الاقتصادية " إذ إننا قد دخلنا الآن عصر العولمة ؛ حيث أصبح العالم قرية كبيرة واحدة " . (١)

وأيضا فإن " الشعور بالولاء لأمة أو وطن قد أصبح من مخلفات الماضى التى يجب إهمالها ونسيانها " . (٢)

** أما العولمة السياسية : Political Globalization :

هى ذوبان الشئون السياسية للدولة القومية فى الإطار العالمى دون اعتبار للحدود السياسية للدول وإرساء دعائم الليبرالية الجديدة وهى الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والتعددية السياسية . (٣)

فتتبلور معالمها بالتخطيط لمستقبل العالم السياسى ، والحفاظ على المصالح الأمريكية ومنها النفط ، والسيطرة على المواقع الاستراتيجية فى العالم ، وفرض الحلول الأمريكية للمشكلات العالمية ، فى صورة ضاغطة مهيمنة مستقلة ، والأهم من ذلك كله ، حماية أمن الدولة العبرية – إسرائيل – وتقوية نفوذها فى منطقة الشرق الأوسط ، وضمان توسعاتها المستقبلية على حساب فلسطين ولبنان

---

(١) العولمة – د . جلال أمين ص ٦ ؛ للمؤلف نفسه انظر : عولمة القهر ص ١٤٣ .
(٢) العولمة ص ١٩ .
(٣) دور الدولة والمؤسسات ص ٣١ .

وسوريا ، وهذا المعنى وغيره جاء صريحا بالقول وبالفعل .

أما بالقول : فمثلاً منه ماجاء على لسان الرئيس الأمريكى جورج (بوش الأب) عام ١٩٩١م فى حديث له : " لقد كنا وسنظل نؤيد إسرائيل ولن نقلل من العلاقات الخاصة والمهنية مع إسرائيل ، ولن نقلل من أهمية مفهوم العلاقات الاستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية . . وإن أمريكا تسعى لكى يغير العرب سياستهم البربرية المتمثلة فى مقاطعة إسرائيل " . (١)

أما بالفعل : فالأمر لا يحتاج إلى عرض ، أو برهنة ، أو سوق دلائل ، ويكفى فتح الصحف اليومية لنرى (الفداء) الأمريكى لإسرائيل ؛ لحمايتها من الإرهاب الفلسطينى – بحسب زعمهم – ؟!!

** **أما عولمة الثقافة والتعليم** : Cultural Globalization

هى ذوبان الشئون الثقافية والسلوكية للدولة القومية فى الإطار العالمى دون اعتبار للحدود السياسية للدول وصياغة ثقافة كونية موحدة تتخطى الحدود الثقافية للدول لتجمع شعوب العالم . أجمع على رأى واحد من خلال مايعرف بالقرية الكونية الواحدة . (٢)

وقد قيل أنها أيضا غزو ثقافى غربى – أمريكى – رأسمالى للثقافات الأخرى ، من أجل استغلالها اقتصادياً ، بتهيئة العقل والوجدان الإنسانى لقبول حتمية العولمة ، بدعوى أن العالم أصبح قرية واحدة ، يسهل فيه اختراق خصوصية ، وطبائع الشعوب الثقافية والدينية والخلقية ، باسم (الحداثة) (٣)

---

(١) السياسة الأمريكية فى الشرق الوسط ص ١٢٢ بتصرف ص١٢٣ نقلا وفى ذات المعنى يرجى الرجوع إلى الإسلام و حدائق الشيطان ص ١٩ .

(٢) دور الدولة والمؤسسات ص ٣٣ .

(٣) انظرالإسلام والحداثة – د . مصطفى الشريف ص ٢٧ ط١ – القاهرة – دار الشروق ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

التى تلغى شيئاً فشيئ كل الديانات ، والتقاليد ، والأعراف الثقافية ، بل والأكثر من ذلك تصوير الثقافة الأمريكية كواجب دينى مقدس ينبغى فرضه وترسيخ مفاهيمه عن إنقاذ العالم ، وإنفاذ مشيئة الله فى قوى الشر الشيوعى – سابقا – والإسلامى – حاليا – [١] . وبالفعل استطاع الإعلام الغربى القوى أن يشكل للبشرية تصوراً واحداً للوجود ، يظل محوره النموذج الحضارى الغربى . [٢]

** وبالنسبة لعولمة التعليم :

فذلك بالعمل على ترسيخ المفاهيم المادية التى تقيس الإنسان بشهواته ونزواته ، وإشاعة العلم المادى الذى يستبعد ماوراء الحس ، وفلسفة الأمور الغيبية فلسفة مادية ، والترويج للفلسفات ، والنظريات الوضعية الباطلة على أنها من المسلّمات [٣] ، وتصوير عملية العولمة من خلال الثقافة والتعليم بأنها " عملية تحرر من ربقة الدول القومية إلى أفق الإنسانية الواسع ، وتحرر من نظام التخطيط الاقتصادى إلى نظام السوق الحرة ، والتحرر من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة ، تحرر من التعصب لأيديولوجيا معينة إلى الانفتاح على مختلف الأفكار ومن صور اللاعقلانية الناتجة من التحيز المسبق لأمة أو دين أو أيديولوجيا يعيدها إلى عقلانية العلم وحياد الثقافة " . [٤]

** وبالنسبة لعولمة اللغة :

فهى تلك التى تجعل اللغة المحلية الإقليمية ، لغة عالمية يتحدث بها العالم

---

(١) انظر الإسلام وحدائق الشيطان – محمد عبد المنعم – ص ٩٩ .

(٢) انظر الإسلام والانترنت – أ . أحمد جوهر محمد ص ٥٦ – مصر المنصورة – دار الكلمة – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

(٣) من مقال عن الحصاد العلمانى فى مجال التربية والتعليم بقلم أ . محمد أحمد منصور – منشور بمجلة البيان عدد ١٦١ ص ٧٦ .

(٤) العولمة – جلال أمين ص ٣١ .

على اختلاف لغاته الأصلية ، وهو الأمر الذى يتضح جلياً فى عالمية اللغة الإنجليزية – البريطانية والأمريكية – التى تعبر عن الثقافة الغربية ، وقيمها الاستهلاكية ، خاصة بعد تزايد استخدام شبكات الاتصال الحديثة – الانترنت – .

وفى المقابل نلاحظ السعى الفرنسى لنشر اللغة الفرنسية فى دول العالم الثالث بالاشتراك مع الدول المتحدثة بها ، وبمساعدة مايسمى بالمنظمة الفرانكفونية ويرأسها لأمين العام السابق للأمم المتحدة د / بطرس غالى .

**** وبصدد عولمة الأخلاق :**

فإن المرأة والأسرة تمثلان أهم محاورها ، تحت شعارات من الحرية والمساواة ، وحقوق الإنسان بمفاهيمها الغربية المخالفة للأديان إذ تؤدى العولمة دورها فى الغزو الأخلاقى من خلال المحافل والمؤتمرات الدولية التابعة للأمم المتحدة (*) ، بالدعوة لتقنين الرذيلة ، والإباحية ، والمثلية – والشذوذ – والإجهاض بدعوى الحرية الجنسية .

وإذا تأملنا ماتصدره هذه المؤتمرات بشعاراتها المختلفة من دعاوى ، وتوصيات فلا يسعنا إلا أن نصفها بأنها " تعبر عما يمكن تسميته (حضارة السوق) أى الحضارة أو نمط الحياة التى بزغت فى أوربا الغربية منذ نحو ثلاثة قرون أو أكثر قليلا ، ونمت وترعرعت ولا تزال . . والتى تتسم بقيم البيع والشراء والإدراك المتزايد للأشياء والعلاقات داخل نطاق السوق " (١)

(*) أشهر هذه المؤتمرات مؤتمر بكين عام ١٩٩٥ م ومن قبله مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة عام ١٩٤م الذى دعى صراحة لممارسة الرذيلة والإجهاض والشذوذ الجنسى – وقد حرص القائمون على هذا المؤتمر أن تجئ لغتهم لزجة مخارة بعناية فائقة للإيحاء بأنها لغة محايدة بهدف تسريب قيم خاصة بمجتمع معين وهو مجتمع العولمة الغربية الأمريكية إلى غيره ، ألا وهو المجتمع المصرى العربى الإسلامى . انظر العولمة د / جلال أمين ص ١٣٦ .

(١) العولمة د . جلال أمين ص ١٣٨ .

وهكذا . . تحولت العولمة الأوربية فى صورتها العسكرية الأيديولوجية العلمانية ، وبدفع من الأحداث التاريخية ، والاستعداد الأمريكى المسبق إلى عولمة أمريكية ، أو لأمركة للعالم ؛ بإدخاله فى نظام وحدة السوق الاقتصادى ، والاجتماعى ، والسياسى ، والأخلاقى والثقافى والتعليمى ، خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ م (*) تحولت العولمة إلى هيمنة تفرض سطوتها بشكل لم يسبق له مثيل ، وصارت استعماراً بغير اسم وبشكل حتمى .

(*) ويقصد بها قيام بعض العناصر بتفجير مبنى وزارة الدفاع – البنتاجون – بواشنطن ، وبرجىّ التجارة العالمية بنيويورك .

بين العولمة والعالمية :

رأينا على الوجه السابق كيف ذهب المفكرون السياسيون والاقتصاديون إلى القول بأن تحديد مفهوم للعولمة Globalization يعد على درجة كبيرة من التعقيد ، نظراً لحداثة ظهورها ، وعدم اكتمال ملامحها ، واعتبروا أن وضع تعريف شامل ووافى للعولمة مهما كان لن يكون كافياً ولن يلقى القبول العام ؛ لأن العولمة حتى الآن تعد ظاهرة غامضة ، ومبهمة غير مكتملة الأركان وبناءً عليه اختلفوا فى علاقتها بالعالمية .

هل هى فى حقيقتها امتداد للعالمية ؟ أم هى اتجاه جديد يدعو إلى الانفتاح البشرى ، أم هى نظام جديد يجذب العالم كله إلى هوة سحيقة تؤدى بحياة البشر ؟ إلى غير ذلك من التساؤلات .

وقد حرص المفكرون فى بيان علاقة العولمة بالعالمية ، على القول أن بينهما اختلافاً ؛ حيث إن العالمية تدعو لانفتاح الدول بعضها على بعض فى علاقات اقتصادية وسياسية وتبادل ثقافى إيجابى مع احتفاظ كل دولة بحدودها القومية وخصوصياتها الثقافية المتميزة ، وأيضا سيطرتها على كامل أفرادها ووحداتها السياسية والاقتصادية .

■ **ففى العالمية** قيل بأن كل الدول تفيد وتستفيد وتكسب .

■ **أما فى العولمة** ، فتعود إلى انفتاح الدول بعضها على بعض فى علاقات مختلفة من اتجاه واحد وهو اتجاه دول المركز أو الطرف الأقوى ، إلى كل دول الأطراف – الأضعف – مع عدم الاعتبار لحدود الدولة القومية وسيطرتها على أفرادها ووحداتها الاقتصادية والسياسية بحيث تظل دول محددة فقط هى التى تستفيد استفادة كبرى بينما باقى الدول تستفيد استفادة محدودة ،

وقد تصل فى بعض الأحيان إلى خسارة واضحة . (١)

وفى كلمة للرئيس الإيرانى السابق د . محمد خاتمى يميز فيها بين العولمة والعالمية فيقول : " إن العالمية مفهوم يضع بعين الاعتبار التبعات العامة للقضايا العالمية بغض النظر عن أرضياتها وعواملها ، وما يمكن استنباطه من هذا المفهوم هو " عالمية القضايا " . [و] التعولم مفهوم له حكم الفرضية الجديدة باعتباره نهجاً لوصف وتبين تطورات العالم ومستقبله . فرضية لسد الفراغ بعد أفول نماذج القطبين العالميين . . . وإذا كان مفهوم (العالمية) يعد بمنزلة الواقع الموجود ومفهوم (التعولم) بمنزلة عملية تقع حالياً وهى كذلك ، فإن أصحاب الثروة والسلطة والمكانة كل حسب موقعه يسعون لكسب مصالح أكبر فى إطار " العولمة " و " التوجه العالمى " . (٢)

---

(١) انظر دور الدولة والمؤسسات فى ظل العولمة – د . فتحى أبو الفضل وآخرين ص ٢٠ من إصدارات مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤ م .

(٢) من كلمة ألقاها فى المؤتمر السنوى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية – العام التاسع عشر – الذى عقد فى الفترة من ٨ : ١١ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٧ : ٣٠ مارس ٢٠٠٧ م . وجاء المؤتمر تحت عنوان (مشكلات العالم الإسلامى وعلاجها فى ظل العولمة) – العدد ١٤٦ من سلسلة قضايا إسلامية التى تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

الخلاصة فى حقيقة العولمة

☜ **أولاً** : إن العولمة ظاهرة قديمة جديدة ، بما لها من إرهاصات يزيد عمرها عن خمسة قرون وهى نوع جديد من الاستعمار تحت مسمى (النظام العالمى الجديد) ، له من الخصائص والأهداف ، نفس خصائص وأهداف الاستعمار الغربى القديم ، ويزيد عليها الاستفادة المذهلة من التقدم التقنى الحديث

☜ **ثانياً** : إن العولمة تتعدد مفاهيمها بتأثير من تعدد الأحداث التاريخية الكبرى .

فكانت ذات مفهوم : أوربى خالص ، القرن الخامس عشر حتى منتصف ق ٢٠ م .

وكانت ذات مفهوم : أوربى أمريكى – مشترك – ما يقرب من أربعين سنة وحتى تسعينيات ق ٢٠ .

وأخيراً صار مفهومها : أمريكياً خالصاً منذ أوائل التسعينيات حتى الآن بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، وتمام الهيمنة الأمريكية مع حرب الخليج الثانية ١٩٩١م ، وتأكدت بصورة نهائية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م

☜ **ثالثاً** : إن الوجه الاقتصادى للعولمة ، هو الوجه الأساسى ن الذى سخرت لأجله ، سائر وجوه العولمة السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية – اليديولوجية – والتعليمية ، والأخلاقية .

رابعاً : إن العولمة هى الوجه الجديد للحضارة الغربية ، كأرقى ماتكون ، وأحدث ماتفتق عنه العقل الغربى ، ويعرضها المؤيدون فى صورة النظام الحتمى الذى لا فرار منه بدعوى الرفاهية الاقتصادية ، والتقدم العلمى التكنولوجى . ويعرضها المعارضون فى صورة النظام الرأسمالى والاستغلالى للفقراء من الدول والأفراد ، ومن هنا ظهر القول بأنه على فرض صدق القول إن العولمة هى أرقى ما أنتجته العقلية الغربية المعاصرة فإنه ليس بالضرورة

يعبر عن حتمية قبولها لدى الجميع ؛ لأن هناك الكثيرين لم يقبلوها ، وعملوا على مناهضتها ، ويستشعرون خطرها على الأقل على أنفسهم إيماناً منهم بأن ما يصلح لإنسان لا يصلح لآخر وما يصلح لواقع لا يصلح لواقع آخر ؛ لاختلاف ظروف ، ومعطيات ، وخصائص كل منهما عن الآخر . فما يصلح مثلاً للمواطن الأمريكى – الغربى – لا يصلح للأمريكى اللاتينى ، ويؤكد هذا المعنى أن أغلب الدراسات والإحصاءات والبحوث الدولية – وفى مقدمتها بحوث ودراسات أمريكية – مليئة بتنبؤات صريحة حول ضرورة الاعتراف بأن أسوأ إفرازات العولمة هو ما يتعلق بزيادة المصاعب الاقتصادية ، والمشكلات الاجتماعية ، وخصوصا فى المجتمعات المطحونة التى تعجز شعوبها عن توفير شربة الماء النقية ، أو حبة الدواء الضرورية بينما تقتحم حدودها ، وتدخل بيوتها ، وسائل بث فضائية – عن مجتمعات الوحدة ، وأنماط البذخ ونماذج الاستهلاك الترفى المستفزة [١] ؛ فالراصد للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى العالم ، ليصاب بصدمة ، من الفجوة المعيشية التى حدثت فى السنوات الأخيرة فى الدول الفقيرة ، أو الدول الآخذة فى النمو ، وليصاب بصدمة كذلك من الحقد الذى تحمله الطبقات العاملة فى كل مكان ، وما توجهه من نقمة إلى النظام العالمى الجديد ، وتدعو إلى ضرورة تغييره ، والانقلاب عليه ، وهذا يفسر كثرة المظاهرات بالولايات المتحدة ، وفى كل مكان يعقد فيه منتدى اقتصادى لترسيخ العولمة ، كما حدث فى بلدة (دافوس) بإيطاليا ، و (نيس) بفرنسا ، و (ساو باولو) بالبرازيل بل وفى (سياتل) بالولايات المتحدة نفسها . [٢]

وليس الاستغلال الاقتصادى ، وازدياد البطالة وحدهما أسباب رفض

---

(١) من مقال عن إرهاب العولمة . . الجذور والأسباب والاحتمالات بقلم أ . مرسى عطا الله بجريدة الأهرام المسائى بتاريخ ٧ / ١٠ / ٢٠٠١ م .

(٢) من مقال الأعلام الإسلامى وتحديات العولمة ، أ . جمال سلطان مجلة البيان – عدد سابق ذكره .

العولمة – عالمياً – عند الكثيرين ؛ بل هناك ايضـــا أســـباب فكريـــة – أيدلوجية – كما عند الماركسيين مثلا ، لأن العولمة الرأسمالية ، قضـــت علـــى آمالهم الخاصة فى الاستمرار الأيديولوجى للماركسية وعلى هيمنة الشيوعية على نصف العالم الشرقى ؛ ولذلك يرفض الماركسيون – الشـــيوعيون – العولمـــة ، وبالتأكيد كان الأمر سيختلف تماما لو استدارت عجلة الزمان ، ولم يسقط الاتحاد السوفيتى وكانت العولمة صناعة شيوعية ..

الفصل الثانى

موقف الإسلام من العولمة

تمهيد

** بين طبيعة الإسلام وواقع المسلمين .

** الواقع الإسلامى وتحديات العولمة .

** موقف الإسلام من الأوجه المختلفة للعولمة .

** خاتمة حول قضية العولمة وموقف الإسلام منها .

تمهيد :

بين طبيعة الإسلام وواقع المسلمين :

الإسلام هو دين الله الخاتم ، الذى أوحى الله عز وجل بتعاليمه فى أصوله وفروعه إلى عبده ورسوله محمد ﷺ ، وكلفه بتبليغ كل ذلك إلى الناس كافة ودعوتهم إلى التصديق به .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (١) .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٢) .

ولهذا كان الإسلام الرسالة الإلهية النهائية موجهة إلى جميع الناس فى كل زمان ومكان ، مهما اختلفت أجناسهم ، وألوانهم ، وألسنتهم منذ بعثة محمد ﷺ حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فالإسلام وهو نهاية الأديان وخاتمها ليس وقفاً على عصر دون عصر ، وليس خاصاً بأمة دون أمة و دين هذا شأنه ، ينبغى أن يكون ذا طبيعة تقدمية تتسع لكل تطور وكل تقدم ، وتناسب كل تجدد وكل تبدل فى الحياة الإنسانية عبر العصور والأجيال .

ومن البديهى أن الإسلام ، لم يبدأ فقط حينما بشر به الوحى محمد ﷺ – فى القرن السابع للميلاد – ؛ وإنما على الأقل بدأ مع بداية الخليقة مع خلق الإنسان ، ذروة الخليقة ، فما كاد هذا الإنسان يخلق حتى بيَّن له الخالق حكمة خَلْقه ، وقانون خُلُقه ، وكيف يعيش ويتصرف ، وما يجب أن يفعل وما يجب أن ينتهى عنه ، بداية من (آدم) عليه السلام أول إنسان ، وأول نبى .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٥٨ .

(٢) سورة سبأ : آية ٢٨ .

ولكن الواقع يشهد كيف أخفق بعض أبناء آدم فى الالتزام بقانون الخلق فأهملوا الرسالات ، أو نسوها ، أو أضاعوها ، أو زيفوها فضلوا وأضلوا ، وتخبطوا فى حياتهم ، فخسروا أخراهم ، حتى تجلت رحمة الخالق العظيم لإنقاذ البشرية من تيهها وضلالها فيمنحها هدايا السماء الرسول تلو الرسول والنبى تلو النبى حتى كان الرسول الخاتم خير بنى آدم ، خير من قام بمهمة الهداية ، وأداء الأمانة للعنصر الإنسانى كله ، محمد ﷺ الذى استطاع أن يؤلف بين قلوب العناصر الإنسانية المتنافرة ، التى لم تتفق فى وقت ما من تاريخها الطويل على رأى ، أو تجتمع على عقيدة ، فكوَّن منها – بفضل مبادئ الإسلام العقدية والتشريعية – مجتمعاً متماسكاً ؛ تربطه أواصر الإخاء والمساواة التى لا يشوبها تفاضل من جاه أو جنس أو ثروة ، وبدا بوضوح أن هذا الدين ليس فقط مجرد عقيدة دينية لا تضم سوى طقوس تعبدية وإنما يشتمل أيضا على أسس قويمة ونهج عملى لقيام مجتمع واضح المعالم له سماته الخاصة ونظم حكمه الخاصة وقوانينه الخاصة . (١)

لذلك اقتضت إرادة الله أن يكون الإسلام خير دين لخير أمة :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

وبقيادة حكيمة قوية وبعقيدة تهدى وتوجه ، استطاع المجتمع الإسلامى بأمته الجديدة أن يوسع مداه فيقفز بسهولة ويسر على حدود الامبراطورية الرومانية الشرقية وينتزع من امبراطورية فارس كل بلاد مابين النهرين .

---

(١) انظر الإسلام ضرورة عالمية ، أ . زاهر عزب الزغبى ص ١١٤ – القاهرة – الهيئة العامة للكتاب ١٩٧١ م .

(٢) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

ففى أقل من نصف قرن كانت كلمة الله وراية الإسلام قد ارتفعتا عاليتين على منابر المساجد فى شمال أفريقيا حتى مراكش على ساحل الأطلسى . ثم تعبران البحر الأبيض المتوسط إلى أسبانيا وسهول فرنسا ، ومن آسيا فى الشمال تتوسع المنطقة الإسلامية حتى تهدد أسوار القسطنطينية ، وفى الشرق يتوغل المسلمون حتى مشارف الصين ، أما فى الجنوب فيصلون إلى نهر الأندوس فى وسط شبه القارة الهندية . (١)

وذلك كله حين قامت الأمة الإسلامية برسالتها على الوجه الصحيح ، فأخرجت كثيرا من الناس من الظلمات إلى النور سواء من آمن بالإسلام أو التزم به أو اقتبس من نوره دون أن يؤمن به .

وقد برهن هذا النجاح سعة انتشار الإسلام التى لم يسبق لها مثيل فى التاريخ على أصالة هذا الدين ، وعزز الثقة فيه .

ولكن الأكثر دلالة على نجاح الإسلام وقوته ؛ أنه قابل مدنية العالم الخارجى بمبادئه الفكرية فانتزع الإعجاب والاحترام ، وبعقيدته الدينية ونظمه الاجتماعية . . . اثبت جدارته وصلاحيته كعقيدة دينية – تزايد معتنقوها على نحو لم يسبق له نظير – ، حتى اندرج فى عقدها معظم سكان العالم المتمدين فى ذلك الوقت . . . [ونجح] فى تكوين نظام اجتماعى فريد له قوانينه الصالحة ومبادئه الأخلاقية المثالية . (٢)

وبقدر ما اعتنى الإسلام بالنواحى العقائدية والروحية للإنسان ، بقدر مااعتنى أيضا بشئون دنياه وهو الأمر الجلى فى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

---

(١) الإسلام ضرورة عالمية ، ص ١١٣ .
(٢) المصدر نفسه أ . زاهر الزغبى ص ١١٣ .

فقد أوضح الله عز وجل للإنسان صورته التامة والنهائية ، والطريقة المثلى التى ينبغى أن يكون عليها فى سلوكه – كخليفة لله تعالى فى أرضه – فجاءت رسالة الله فى الإسلام تامة وشاملة فيما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه ، وبذات الشمولية كانت رسالة الإسلام ذات صلة باحتياجاته وضروراته الإنسانية المتشعبة ، ولهذا جاء قوله تعالى على لسان عبده ورسوله ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾ (١) .

الواقع الإسلامى وتحديات العولمة :

إن ثمة حقيقة تاريخية تؤكد أن الإسلام قد امتحن فى بدايته بالمعارضة العنيفة من قوى الشرك المعادية ، وتعرض دستوره – القرآن الكريم – لمطاعن وشبه مفتريات المفترين بهدف التشكيك فى صحة مصدره الإلهى وبالتالى صحة الدين بل ؛ والتشكيك فى شخص رسوله والنيل منه .

وقد امتحن الإسلام كذلك من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر بكوارث وشدائد وأثقال من المتاعب والأدواء ، ولاقت الأمة الإسلامية من الضربات مالم تلقه أمة من قبل بمثلها (*) ؛ وكان بعض هذه الضربات " كفيلاً للقضاء على دول الرومان الشرقية ودولتهم الغربية . وبعضها كان كافياً للقضاء على دول الفراعنة والأكاسرة فى الزمن القديم " . (٢)

ومع ذلك ثابرت الأمة الإسلامية ، وصمدت حتى صار صمودها مثاراً لاستغراب أعظم المفكرين والمؤرخين الذين وقفوا فارغى أفواههم من جراء تلك

---

(١) سورة المائدة : آية ٣ .

(*) أعنى بذلك مانزل بالأمة من غزو تتارى ، ومغولى نازح من آسيا الوسطى بقيادة جنكيز خان وهولاكو وغيرهما ، وكذا الحملات الأوربية الصليبية المتوالية على لشرق .

(٢) الإسلام فى القرن العشرين أ . عباس محمود العقاد ، القاهرة – دار نهضة مصر – د . ت . ص ٢٦ .

القوة المنيعة التى ثابر بها المسلمون ولم يزالوا بعدها وحدة إنسانية قائمة بين أعظم الأمم وهم على أمل وثيق فى الرجوع إلى سابق ريادتها.حتى أدرك المؤرخون أن السر يكمن فى العقيدة الإسلامية الشاملة التى وقفت سداً منيعاً حائلاً بين أصحابها وبين الهلاك أو الفناء.وهنا تبدو عظمة الدين وتفترق عن عظمة السياسة فإن " دول السياسة تذهب ولا تعود ، ولا يوجد بعدها من يحاول إعادتها،ولكن دولة الدين أوعلى الأصح قوة الدين،تبقىمن وراء الأمم والحكومات كأنها القوام الذى تتعاقب عليه بنية فىأثر بنية،وهو باقٍ يتجددولايستسلم للفناء" (١)

وقوة أو شمول العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين ؛ هى التى حدت بأعدائهم بعد أن يأسوا من القضاء عليهم عسكريا ليعدلوا من خططهم ، " فكان الغزو الفكرى (*) بديلا عن الغزو السياسى وكانت له أسلحته ذات النوعية الخاصة والأساليب المبتكرة مع تيقظ العدو لكل نشاط عسكرى وسياسى يقوم به المسلمون لاستعادة أمجادهم الأولى " (٢) . واليوم بعد أن سلخ الإسلام مايزيد

---

(١) الإسلام فى القرن العشرين ص ٢٩ .

(*) الغزو الفكرى : عُرف بأنه " نوع أو مظهر من مظاهر التسلط الذى يريد به طرف أن يسيطر على طرف آخر لمعنى من المعانى . والتسلط بوجه عام إما مادى وإما فكرى . أما التسلط الفكرى وتغيير العقائد فله إعداد خاص وسلاح من نوع آخر . والغلب ليس سريعا أبدا بل يحتاج إلى وقت لأن الأفكار التى انفعلت بها النفس وتوارثتها الأجيال ليس من السهل اختلاعها كسهولة اختلاع جزء مادى من أجزاء الجسم ز . . فقد لجأ أعداء الإسلام إلى هذا الغزو الفكرى يكملون به أبعاد الصورة التى يرسمون لاستغلال الشعوب إن هذا الغزو الفكرى يعنى به أن تظل بلدان العالم الإسلامى خصوصا والعالم النامى عموما تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة " نقلا من كتاب فى الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام أ . د / شوقى إبراهيم على ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ، أ . د / شوقى إبراهيم على ص ٤٤ ، ط ١ - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

على أربعة عشر قرناً من الزمان ، تجد الأمة الإسلامية نفسها فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، الحادى والعشرين الميلادى فى مفترق طرق ، إذ تواجه من التحديات فى إطار النظام الدولى الجديد المعروف بالعولمة) ، مايتوجب عليها النهوض من رقدتها لتعيد حساباتها من جديد للبحث عن موقفها كأمة عالمية يجب عليها تحقيق الانسجام بين ثوابتها العقيدية وقيمها الروحية وبين قيم العالم المتغيرة فى كل يوم ، بل فى كل لحظة . ولأن سنة الله فى كونه لا تتخلف ، ولا تحابى أحداً على أحد ، أو أمة على أمة ﴿ **فلن تجد لسنة الله تبديلا** ﴾ (١) .

فليس ثمة من ينكر أن الأمة الإسلامية حين قامت رسالتها على الوجه الصحيح ، أخرجت كثيراً من الناس من الظلمات إلى النور سواء من آمن منهم بالإسلام والتزم به ، أو اقتبس من نوره دون أن يؤمن به فكانت الأمة بذلك مصداقاً لقول الله عز وجل : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ (٢) .

وبالمثل حين انحسر الإسلام فى قلوب كثير من المسلمين – إلا من رحم ربى – وانحسر إشعاع الإيمان فى عالم الواقع وتقاعس المسلمون عن القيام بواجبهم كخير أمة أخرجت للناس أخذوا رويداً رويداً فى ظلمات الجهل ، والضعف والانكسار ، والتخلف ، والفقر ومن ثم التبعية تحت ولاية ونفوذ الطاغوت (٣) – ولقد صدق الحق إذ يقول : ﴿ **اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ**

---

(١) سورة فاطر : آية ٤٣ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

(٣) انظر المسلمون والعولمة – أ . محمد قطب ص ٢٢ ومابعدها – ط١ – القـاهرة – دار الشروق – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ (١)

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

فهذا هو الواقع الإسلامى الذى يتحمل المسلمون مسئولية ضعفه وهوانه على الناس أمام الله وأمام أنفسهم بل وأمام البشرية بأجمعها التى اجتاحت لخير أمة فلم تجدها ووقعت فى الضلال .

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٧ .

(٢) سورة الأنفال : آية ٥٣ .

الخلاصة فى الواقع الإسلامى وتحديات العولمة :

هنا يمكن القول : إن ماتثيره العولمة اليوم من قضايا تلغى الخصوصية ، وتتحدى التاريخ والأديان ، وتدعو إلى إعادة النظر فى أسس الحياة والروابط والعلاقات الإنسانية ومحاولتها رسم خريطة جديدة للحياة على الأرض ، لهى – فى رأيى المتواضع – أهم التحديات التى تواجهها الأمة الإسلامية اليوم ، لذا كان حتمياً التوقف أمامها لدراستها وتحليلها من منظور عقدى إسلامى .

موقف الإسلام من الأوجه المختلفة للعولمة

بداية أود الإشارة إلى أننى كباحثة مسلمة لست مع أو ضد العولمة ، قبل أن نزنها بميزان الإسلام النقدى ، فإما الإقرار والتأييد أو الإنكار والتحذير ، وهو ما أشار إليه الفيلسوف والعلامة ابن رشد فى قوله : " إن ألفينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظرا فى الموجودات واعتباراً لها بحسب مااقتضته شرائط البرهان ، أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك ، وما أثبتوه فى كتبهم . فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به ، وشكرناهم عليه ، وماكان منها غير موافق للحق نبهنا عليه ، وحذرنا منه وعذرناهم " . (١)

وسيراً على هذا المنهج النقدى الموضوعى ، وتطبيقا له لا على أفكار ومبادئ مفاهيم الأمم السالفة فقط ، وإنما أيضا على أفكار ومبادئ ومفاهيم الأمم المعاصرة أيضا ، فإنه ينبغى التوقف فى بيان موقف الإسلام من العولمة أمام عدة حقائق هى :

- طبيعة الإسلام كدين .
- منهج المعرفة الإسلامى .
- واقع العولمة .

أولاً : أما طبيعة الإسلام كدين : يتمحور حول قضية أساسية هى قضية وجود الله ووحدانيته وجميع مايؤسس عليها من مسؤليات عقائدية أو شرعية هتف به كل الأنبياء وانتسبوا إليه ، وهو خاتم الأديان ، الذى اكتملت فيه حكمة البارى عز وجل ، وجاء بطابع شمولى تلتقى فيه أسس العقيدة بكمال التشريع الإلهى للإنسان ، لذلك كان من الطبيعى أن يكون ذا منهجاً أريد له أن يسود ، ويوجه

---

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٨، تحقيق د . محمد عمارة – القاهرة – دار المعارف – سلسلة ذخائر العرب .

الحياة ، ويحكم المجتمعات ، ويضبط البشر وفق إرادة الله وأوامره ، فلا يُكتفى فيه بالخطابة والتذكير والموعظة الحسنة ، ولا أن تترك أحكامه ووصاياه وتعليماته فى شتى المجالات إلى ضمائر الأفراد وحدها ، فإن سقمت أو ماتت سقمت معها أحكامه وتعاليمه . (١)

وإذا كانت تلك طبيعة الإسلام ، فإنه إذن ليس بتيار فكرى ، أو ظاهرة وقتية يخشى عليه من أى فكر وافد ، حتى وإن كانت (العولمة) أحدث مانفتقت عنه العقلية الغربية فى واقعها الحاضر .

وبحسب تعبير الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق :

" إنه - [أى الإسلام] دين له جذور ضاربة فى أعماق الكيان [الإنسانى] (*) ، وأصول راسخة لا تستطيع أن تنال منها التيارات الوقتية ، ولا يخشى على هذا الدين من أى تيارات داخلية أو خارجية مهما كانت قوتها " . (٢)

ثانياً : أن هناك منطلقات أساسية لمنهج المعرفة فى الإسلام والذى من خلاله ينظر إلى أى فكر وافد على المجتمع الإسلامى ويتم تقييمه ، فأما الإقرار والتأييد أو الرفض والتحذير .

وهذا المنهج يعتمد على ثلاثة أبعاد أو أطر منهجية هى :

- البعد النصى الإلهى .
- البعد العقلى الإنسانى
- البعد الواقعى الحسى .

---

(١) انظر من فقه الدولة فى الإسلام ، للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٨ ط٢ القاهرة - دار الشروق ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م ..

(*) تصحيح لما جاء فى النص الأصلى [الإسلامى] ولعله كان خطأ مطبعياً لأن السياق يقتضى الكيان الإنسانى لا الإسلامى . راجع فى ذلك : الإسلام فى عصر العولمة ص ١٢ .

(٢) الإسلام فى عصر العولمة ، ص ١٢ ط١ - القاهرة - مكتبة الشروق - ١٤٢١ هت - ٢٠٠١ م .

فهذه الأبعاد الثلاثة ؛ تشكل الأسس التى يرتكز عليها منهج المعرفة فى الإسلام ، فلا يقف عند حدود الإيمان بالحقائق الواردة بالوحى فى صورة إيمان نظرى ، أو قناعة عقلية أو وجدانية ، وإنما يتعدى ذلك إلى تفعيل الوحى بما جاء به من حقائق .

وفى الوقت نفسه جعل (العقل) موجه الإنسان ودافعه ، ووسيلته إلى إدراك غايته وموقعه ووسيلته فى طلب الحق ، وبهذا يتكامل الوحى والعقل مع الكون، لتمكين الإنسان من تحقيق مقاصد الخلق وأداء دوره فى إعمار الكون . (١)

ونظرا لمكانة العقل فى تشكيل الجوهر الإنسانى وتقييمه للوجود من حوله حرص الإسلام على تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلى وسيطرة التبعية العمياء ، ومن أصفاد الجهل وظلمته ، والأهواء والشهوات والانقياد لمغرياتها ؛ لأن الجهل يطفئ نور القلب ، ويميت عناصر الحياة والقوة فى الأفراد والأمم ؛ فطاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الفكر والعقيدة وبالتالى السلوك .

وقد عبر القرآن الكريم عن كل هذه الآفات التى يمكن ان تصيب العقل من تبعية – تقليد – وجهل وطاعة للأهواء ونبه على ضرورة التخلص منها رغبة من الله تعالى أن تجئ عقول المسلمين وسلوكهم وقلوبهم مرآة من كل عيب وبالتالى لضمان موضوعية الحكم على الأشياء وواقعيته دون تزييف أو تحريف

فقال تعالى فى ذم التقليد والمقلدين : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ** ﴾ (٢) .

---

(١) انظر قضية المنهجية فى الفكر الإسلامى للدكتور / عبد الحميد أبو سليمان ص ١٤ – واشنطن – المعهد العالمى للفكر الإسلامى ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .

(٢) سورة المائدة : آية ١٠٤ .

وجاءت المطالبة الإلهية بالنظر فى السماوات والأرض وماذخرتا به من دلائل وحدانيته وقدرته تعالى ، وذم الغافلين والمغرضين فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (١) .

وذم الجهل والجاهلين وأنحى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام وبخاصة فى ميدان العقيدة : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ (٢) . ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣) .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

ذلك كله ليربى الإنسان على أساس من حرية الفكر واستقلال الإرادة ، ليكمل بذلك عقله ، ويستقيم تفكيره ، وتكمل له إنسانيته، وبالتأسيس على ذلك كله كان " البرهان أساس الإيمان الصادق ، والعقيدة الصحيحة ، وكل اعتقاد أو عمل لايقوم على دلائل الحق فهو مردود على صاحبه " . (٥)

والإسلام إذ يضع الملامح السابقة لمنهج المعرفة الذى يرتضيه فإنه لا ينسى بواقعيته وموضوعيته اختلاف درجات الناس وتفاوتهم من حيث الفهم والتفكير وإدراك الحقائق من ناحية .

---

(١) سورة الحج : آية ٤٦ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١١٦ .
(٣) سورة يونس : آية ٣٦ .
(٤) سورة الجاثية : آية ٢٣ .
(٥) الخطاب الدينى والواقع المعاصر ، للأستاذ الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح ص ١٨ العدد ١٢٨ من سلسلة قضايا إسلامية – إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة .

ومن ناحية أخرى التأكيد على أن هناك قضايا عقدية ثابتة ،تعد بمسائلها المتعلقة بوجود الله – عز وجل – ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله . وسائر ماتعلق بها من أمور غيبية وهى أمور يقف أمامها العقل عاجزاً عجزاً تاماً عن أداء أى دور معرفى ، وبالتالى لا سبيل إليها إلا بالقرآن الكريم والسنة المطهرة . (١) وقد جمعها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ (٢) .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا** ﴾ (٣) .

ومثلها كذلك مسائل الشريعة التى هى وحى الله المنزل الثابت مما جاء به القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة .

أما الفقه ، وجميع مايتعلق به من أمور اجتهادية بشرية متغيرة بتغير الزمان والمكان مع احتمال الخطأ دون تكفير للمخطئ ؛ فهو متروك لاجتهاد المسلمين (٤) وأعمال حواسهم وتجاربهم ونظرهم فى إطار من التأمل والدراسة والبحث العلمى . لذلك لم يخلطوا بين العقيدة ، والشريعة ، والفقه من حيث المنهج .

---

(١) انظر العلمانية بين أنصارها وخصومها فى مصر ص ٣٤٥ ، رسالة دكتوراه للباحثة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٨٥ .

(٣) سورة النساء : آية ١٣٦ .

(٤) انظر أصول الفقه ، الإمام محمد أبو زهرة – القاهرة – دار الفكر العربى – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م . ص ٦٧ .

ثالثاً : إنه على اعتبار مايشاع عن العولمة أنها – جدلا – واقع لا يجدى معه أسلوب الرفض القاطع وعدم قدرة المسلمين أو غيرهم عن عزل أنفسهم عن مجريات العالم فى ظلها فإنها ينبغى التعامل معها مثل أى فكر وافد على المسلمين على أساس من منهج المعرفة الإسلامى النقدى ، والموضوعى ، والمرن المتجدد على الدوام فى إطار من ثوابت العقيدة ومتغيرات الأمور المتطلبة للاجتهاد لبيان وجه الحق فيها – إيجابا وسلبا – .

وهنا يحضرنى قول أبى الحسن العامرى : " إن الحق متاح لمن أراد ، وأحب أن ينطق به ؛ لكن للنفوس أوطار تؤثر على طلب الأجر ولابد للفهم من قادح ، وللمنطق من واع ، وإذا لم تلقح العقول بالتذكرة لم يحسن الصواب منها ، وعلى السبيل إلى الله أعلام ظاهرة وشواهد واضحة ولن يذهب عن الحق من سعى بصدق نية فى طلبه " . (١)

إذن :

الإسلام بأصوله العقيدية والتشريعية الثابتة ، وبمبادئه الفقهية المتغيرة التى تدور مع الحياة حيث تدور ، وتراعى الفطر الإنسانية فى متطلباتها المتجددة – دين صفته هذه ؛ لايستطيع أن يعزل نفسه عن كل مايدور حوله فى هذا العصر أو أى عصر قادم ، وبخاصة أنه بطبيعته وفى جوهره دين للحياة بكل أبعادها وفى كل جوانبها مادية كانت أو روحية . (٢)

إنما تصدق صفة الانعزالية عن الحياة وظروفها وطوارئها على أى دين آخر سوى الإسلام ، لأنه ببساطة إن استتر الإسلام " فى داخل الوجدان ، ولم يبسط إشعاعه على مساحات الحياة المختلفة ، فلن يكون هو الدين الذى أنزله الله

---

(١) الإعلام بمناقب افسلام ص ١٢٣ ن تحقيق الدكتور / أحمد عبد الحميد غراب – القاهرة – دار الكتاب العربى – ١٣٢٨٧ هـ – ١٩٦٧ م .

(٢) من مقدمة كتاب الإسلام فى عصر العولمة للأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق .

وأمر أتباعه وعاقب على تركه ، وأثاب على الإتيان به ، إنما دين الله هو ماوقر فى القلب وصدقه العمل " . (١)

فليس من طبيعة الإسلام إذن أن ينعزل عن مواجهة أى فكر طارئ على عالمه فى صورة مذهب أو تيار فلسفى أو اقتصادى أو اجتماعى أو سياسى ، فما بالنا إن كان كالعولمة جماع لكل ذلك ؟!!

كما أنه ليس من طبيعة الإسلام كذلك أن يقتل أى فكر أو يرفضه دون أسباب واقعية وموضوعية .

فهذا هو موقف الإسلام من العولمة ، فلا يرفضها على إطلاقها بداية ، ولا يقبلها على علاتها نهاية ، خاصة إذا قيل بوجود جوانب إيجابية وأخرى سلبية فيها ؛ لذلك فالإسلام يتعامل مع العولمة بكل أبعادها من خلال منهجه النقدى الموضوعى السابق الإشارة إليه .

وتظل الإشكالية الأولى فى موقف الإسلام من العولمة هو موقفها من القيم الروحية ودورها فى الحياة ، وفى نفس الوقت كيفية تحقيق الإنسجام بين الدور الأساسى للعقل ورؤيته من ناحية ، ومعنى الحياة فى ضوء الإيمان من ناحية أخرى .

والإسلام لايلغى الاختلاف بين البشر كقاعدة للخلق لأن الاختلاف كامن فى جبلة الخلق ، بل فى الكون كله بمن ومافيه **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** (٢)

---

(١) المصدر السابق ص ١٨ .

(٢) سورة هود : آية ١١٨ – ١١٩ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وحقا قال ﷺ : " فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا " . (٢) فالعصر الحاضر هو عصر التواصل البشرى والتحاور الثقافى وبالتالى ينبغى التعامل معها على أساس من قيم الإسلام ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣) .

والاعتراف بالآخر والحوار معه ، واستشراف أفاق المستقبل هو من أهم ملامح الإسلام وعلى هذا الأساس يمكن أن ينبنى موقف الإسلام .

أولاً : الإسلام و عولمة الإعلام والاتصال :

فإن التقدم العلمى والتكنولوجى وعبقرية التنظيم والجدية فى التعامل مع الواقع ، والمثابرة للوصول إلى الهدف ، والصبر على الأسباب لتؤتى ثمارها ؛ لهو من إيجابيات العولمة التى لايمكن أن ينكرها إلا المغالطون ؛ ففى هذا الجانب الإيجابى يتحقق قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ﴾ (٤) .

فعمارة الكون ، وصنع الحضارة ، والطفرة العلمية مما تضطلع به العولمة

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٣ .

(٢) رواه أبو داود كتاب السنة ٤ / ٢٠٠ تحت رقم ٤٦٧٠ ، والترمذى فى كتاب العلم ٥ / ٤٤ تحت رقم ٢٦٧٦ .

(٣) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٤) سورة هود : آية ١٥ .

فى عالمنا المعاصر لهو مما حث عليه الإسلام . [١] الذى لا يرضى التخلف والتدهور والخمول لأتباعه ، لذلك جعل عمارة الكون والعلم والعمل لأجلها ؛ فريضة لا تقل عن أى فريضة أخرى لذلك سلح – آدم عليه السلام بالعلم قبل أن يهبط إلى الأرض بينما عجزت الملائكة عن إدراك حكمة النزول والمعرفة والإعمار لأن هذا كله من صميم مسئولية الإنسان .

فقد قال تعالى مخاطبا بنى الإنسان : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [٢] أى طلب عمارتها منكم وأناطكم بها .

فإن كان المسلمون قد تنكبوا عن هذه المسئولية فى القرون الأخيرة فهذا شأنهم الذى ينبغى عليهم تداركه قبل فوات الآوان أكثر من ذلك ، لأن الأمر جد خطير ، والآخر لا ينتظر ؟!!!

فهذا إذن جانب إيجابى من جوانب العولمة يتفق مع مبدأ إسلامى أصيل هو إعمار الأرض بالمعنى الشامل للإعمار .

ولهذا النوع من العولمة وهو عولمة طرق الاتصال أو مايعرف بتكنولوجيا الاتصالات جانب سلبى يترتب عليه تصدير الإلحاد ، والفساد الخلقى ، والفوضى الجنسية والشذوذ والانحراف فى مؤتمرات عالمية على النحو السابق الإشارة إليه

ولذلك فإننا نعلنها صراحة ، أننا كمسلمين نرفض هذا الجانب الإباحى من العولمة ، لأن الإسلام كان حريصاً منذ اللحظة الأولى لنزوله على تطهير الإنسانية من الدنس الروحى والأخلاقى ؛ ليرتفع الإنسان إلى المستوى اللائق به كخليفة الله فى الأرض .

---

(١) انظر المسلمون والعولمة الأستاذ / محمد قطب ص ٣٨ .

(٢) سورة هود : آية ٦١ .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١) .

وبناء عليه فإن التقدم العلمى والتكنولوجى والتنظيمى الذى تدعو الله العولمة يمكن الاستفادة منه فيما يعلى من شأن الإنسانية تماماً كما يمكن استغلاله فى الحط من قدرها واستحمارها ونشر المفاهيم الإباحية والحيوانية . فكلا الأمرين متوافر ولكل إنسان وجهه هو مولِّيها .

فعلينا إذن أن نستبق الخيرات لأننا نعلم أن المرجع والمآل إلى الله عز وجل فيجازى كل بما سبق إليه .

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

إذن : " التقدم العلمى والتكنولوجى والتنظيمى لا علاقة له البته بالانحلال الخلقى ، وليس من مستلزمات ذلك التقدم أن تفسد أخلاق الناس وينحطوا إلى الدرك الحيوانى كما هو حادث فى الحضارة الغربية . . . وقد أعطى الإسلام . . حضارة إنسانية متقدمة فى جميع الميادين ، دون تبذل خلقى ولا انتكاس روحى ، بل كان [وسيظل بإذن الله] المجتمع الإسلامى أقل المجتمعات البشرية وقوعاً فى الفاحشة . . . وأقلها جرائم ، وأكثرها صلاة وعبادة ، وأكثرها ترابطاً أسريا ، وأكثرها طمأنينة وأكثرها بركة " . (٣)

---

(١) سورة الإسراء : آية ٧٠ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٤٨ .

(٣) المسلمون والعولمة ص ٤٦ .

ثانياً : الإسلام و عولمة الاقتصاد :

لعولمة الاقتصاد آثار كثيرة ومتنوعة ، منها ماوصف بالإيجابى ومنها ماوصف بالسلبى .

فمن الإيجابى ، حفظ حقوق التأليف على الكتب ، والأعمال الفكرية ، وحقوق براءات الاختراع ، والنماذج الصناعية والجودة – الإيزو – وفتح العولمة أسواقاً كثيرة أمام تدفق سلع وخدمات الدول المتقدمة والنامية على السواء

وتوحيد العالم وتحويل دوله إلى قرية واحدة صغيرة بفعل التقريب بين المسافات وسهولة الاتصال ، فيما يعرف بشبكة الاتصالات الدولية – الانترنت –

و سهولة حركة الأفراد بين الدول بدون قيود – خاصة بين الدول الأوربية

وزيادة حجم الاستثمارات الأجنبية وخصوصا لدول الجنوب مما يتيح استكمال المشروعات التنموية ، وزيادة قدرتها التصديرية ، وإمكانية فتح أسواق جديدة أو إعادة أخرى مغلقة .

وهو مما لايرفضه الإسلام .

أما بالنسبة للآثار السلبية : فإن لعولمة الاقتصاد آثاراً سلبية ليس فقط اقتصادية وإنما اجتماعية وثقافية وأخلاقية تبعاً لخطورة هذا الوجه من أوجه العولمة .

** أن العولمة ستؤدى إلى تهميش طبقات اجتماعية بكاملها داخل الدول المتقدمة ، كطبقة الموظفين والعمال مما يعرف بالطبقة المتوسطة ، بل وتهميش دولاً فقيرة وبإضعاف مركزها النسبى داخل منظمة التجارة العالمية ، مما يؤدى إلى زيادة معدلات الفقر بصورة غير مسبوقة .

** تآكل قوة الدولة القومية وإضعاف سيطرتها على اقتصادها وخاصة فى الدول النامية .

** تدمير الطبقة الوسطى بالمجتمعات ، وهى التى تقوم بعملية التنمية والتقدم الاقتصادى مما يوفر الاستقرار لأى مجتمع .

** تعمل العولمة من خلال آلياتها الاقتصادية إلى جعل الربح هو هدف الإنسان بأية طريقة بغض النظر عن الانتماء لدين أو دولة . فالانتماء يصير انتماءً للمصالح الفردية على حساب أنواع الانتماءات الأخرى . (١)

** إزالة كافة القيود على التجارة ورؤوس الأموال ، مما يضعف اقتصاد الدولة القومية ، عن طريق تشجيع القطاع الخاص ، مما يدفع المستثمرين الأجانب إلى تملك كل ماهو متاح من شركات وأصول انتاجية والضغط عن طريق المنظمات الاقتصادية الدولية للحصول على مزيد من المزيا والتسهيلات فى المجالات الاقتصادية المختلفة .

** تهيئة الساحة الاقتصادية لظهور منافسة غير متكافئة بين المنتجات فى الدول النامية ومنتجات الدول المتقدمة ، مما يؤثر على اقتصاد الأولى بالسلب . (٢)

وهذا بالطبع مما لا يقبله الإسلام لأنه يتنافى مع ما وضعه من قيم أخلاقية فى مجال الاقتصاد لصالح الفرد والمجتمع .

بالإضافة إلى صيرورة العولمة وسيلة للانتقاص من السيادة الوطنية على القرارات الاقتصادية مما يؤثر بالسلب على برامج التنمية فى الدول ، مع ازدياد الأمر سوءًا بظهور طبقة من المتاجرين بالعملات والأوراق المالية الذين يدخلون مسرح القوى العالمية ، ويوجهون الاستثمارات المالية ويتمكنون من التحكم فى رفاهية أو فقر دول ومجتمعات بالإضافة إلى إفساح المجال أمام رؤوس الأموال

---

(١) انظر دور الدولة والمؤسسات فى ظل العولمة ، ص ٣٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٣٧ وما بعدها .

للتهرب من دفع الضرائب لاستحالة تتبعها وفى النهاية تصير الحكومات عرضة للابتزاز تحت فعل الضغوط التى تمارسها المؤسسات المالية عليها . (١)

وهذا الجانب السلبى لعولمة الاقتصاد يعد أخطر الجوانب على الإطلاق ، والتى تجعل الإسلام يقف منها موقفاً معارضاً ورافضاً .

وبالنسبة للسلبيات الاقتصادية الدقيقة السابقة ، فنتركها للمتخصصين فى مجال الاقتصاد ، أما تاثيرها على الإنسان وعقيدته فهو مايعنينا .

فعلى الصعيد الشخصى ، نجد أن عولمة الاقتصاد تهتم بصناعة شخصية شهوية ، فاقدة لأية قيمة إنسانية – دينية أو اخلاقية – ذات هوس استهلاكى ، وفراغ عقلى ووجدانى ، مما تفقد صاحبها أى مناعة نفسية أو عقلية ، وتحوله إلى نمط أو إمعه يمكن بسهولة إعادة هيكلته وتشكيله والسيطرة عليه وتوجيهه بجهاز التحكم – الريموت كنترول – نحو أى اتجاه فهذا مما يأباه الإسلام على المسلم الذى حرص على تحرير عقله من أصفاد الجهل والتبعية ودعا أتباعه على الدوام ليكونوا نبراساً للعقول والأفهام فى الاهتداء إلى معالم الحق ،

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

وفى السنة المطهرة من حديث لحذيفة بن اليمان – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ " لا تكونوا إمعّة تقولون إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا فلا تظلموا " . (٣)

---

(١) من مقال " فخاخ العولمة " للدكتور : محمد الرميحى ، مجلة العربى عدد ٤٨٤ ، مارس ١٩٩٩ م ص ٢٠٠ .

(٢) سورة المائدة : آية ١٠٤ .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب البر ٤ / ٣٦٤ ، وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وكذا أخرجه البغوى فى شرح السنة كتاب البر ١٣ / ٣٢ .

فالتقليد الأعمى ، شر مايبتلى به الأفراد والجماعات لأنه يميت مواهب الفكر والنظر ، ويوجب الجمود والركود فلا يميز صاحبه بين الحق والباطل ، ولا بين الصواب والخطأ . (١)

هذا على صعيد الإنسان – الفرد – أما على صعيد المجتمعات أو الأمم ، فسلبيات العولمة لا تحصى وليس من أقلها :

أنها ستؤدى إلى تخلى الدولة عن الرعاية المتكاملة ، لأن دور العولمة فى دعم دولة الرفاهية والصالح العام لايشكل أولوية فى أيديولوجية العولمة ، حتى أن مفكرى العولمة يرون فى اهتمام الدولة برفاهية أو حتى الرعاية المتكاملة للمواطنين – عبئا لا طائل من ورائه .

وبذلك ستؤدى العولمة إلى تقليص قدرة الدولة على تحقيق السلام الاجتماعى .

يضاف إلى ذلك أنه فى إطار العولمة " تتسابق دول كثيرة فى منح المزيد من الإعفاءات والحوافز للمستثمر الأجنبى ، مما يجعل الدولة فى مواجهة عجز متزايد فى إيراداتها ، وهو ما يضطرها إلى تقليص أو إلغاء الدعم لغير القادرين ، وإلغاء التأمين على المهمشين " . (٢)

والأقسى من ذلك ، أن العولمة – ذاتها – تتخذ من أوضاع غير القادرين – وهى التى خلفتها – ذريعة للتدخل فى شئون الدول بدعوى البحث عن حقوقهم الإنسانية الضائعة ، أو بزعم التدخل لمنع الكوارث الاقتصادية وهو ماسبق الإشارة إليه فى العولمة السياسية كذريعة تحت رداء إنسانى للتدخل فى شئون دوله مستقلة وانتهاك سيادتها .

---

(١) انظر الخطاب الدينى والواقع المعاصر ص ٢٠ .

(٢) تداعيات العولمة السياسية والأمنية ص ٣٥ .

هذا بخلاف ازدياد دولاً كثيرة ضعفا وفقراً ، وازدياد غيرها ثروة وقوة ، " بل إن عالم السوق يهلهل القيم والثوابت لدى الشعوب " . (١)

ففى ظل سلبيات عولمة الاقتصاد ، ستكون " ثمة مراكز مالية خفية هى التى تقرر . . . بدلاً من الإنسان وهذه هلى المفارقة " أى إن الإله الجديد هو المال ، والوطن الجديد هو القرية العالمية ، وسيظل المجتمع متجهاً إليه مرتبطاً به كترس صغير فى آلة ضخمة ، وإلا بقى فى حالة بطالة ومعاناة " . (٢)

أن ماسبق بعض سلبيات عولمة الاقتصاد ، وهى ليست بالقليلة أو الهينة ، بل أن واحدة منها فقط كفيلة لأن يقف الإسلام من العولمة الاقتصادية بصفة خاصة موقف المعارضة والرفض والاستنكار، ألا وهى الارتكاز على مبدأ اقتصادى مرفوض تماما من الإسلام أعنى (الربا) كنظام للتمويل فى صورة بنوك أو حتى مشروعات قائمة أى الربا بنوعيه – الجلى والخفى – .

فقد حرم الإسلام الربا الظاهر الجلى لما فيه من ضرر عظيم، وحرم الربا الخفى أيضا لأنه قد يكون ذريعة وسبباً يوصل إلى الربا الجلى الظاهر ، فتحريم الربا الأول قصداً – مقصوداً – وتحريم الربا الثانى وسيلة وسبباً – " فالربا وسيلة لتضخيم رؤوس الأموال تضخماً شديداً لا يقوم على الجهد ولا ينشأ من العمل " (٣)

فمن رحمته تعالى – وهو أرحم الراحمين – وحكمته وإحسانه إلى خلقه أن حرَّم الربا ولعن آكله ، وموكله ، وكاتبه وشاهديه ، وأعلن عليهم الحرب من الله تعالى ، ورسوله ﷺ ، ولم يرد مثل هذا الوعيد والتهديد الإلهيين فى كبيرة

---

(١) الإسلام والحداثة ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨ .

(٣) العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، أ . سيد قطب ص ١٠٣ – ط ١١ – القاهرة دار الشروق – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

غير الربا ، ولهذا كان من أكبر الكبائر . (١)

فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢)

وقد تقدست كلماته : ﴿ يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٣) .

وقال جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ (٥)

فهذه عولمة الاقتصاد مالها وماعليها ، بإيجابياتها القليلة التى يرضى عنها الإسلام وسلبياتها الكثيرة التى يأباها ويرفضها .

فالعولمة فى مجال الاقتصاد مثلها مثل غيرها من مجالات العولمة لها جانب إيجابى وآخر سلبى ولكن غلب عليها الجانب السلبى وعلى المسلم أن يتعامل معها على أساس من مبادئ الاقتصاد الإسلامى السامى الذى يرتكز على عدة دعائم أهمها :

---

(١) الاقتصاد فى الإسلام أ . عبد الحميد إبراهيم سرحان ص ١٣٠ ومابعدها – القـاهرة – الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٧٥ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٧٦ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٣٠ .

(٥) سورة الروم : آية ٣٩ .

أولاً : إقرار الملكية الفردية ، والتصرف فى المال بقيود تكفل الانتفاع ودفع الضرر لنفسه وعن نفسه وغيره .

ثانياً : أن الإسلام لا يقيم العلاقات الاقتصادية بين الناس على أسس مادية نفعية فحسب ، وإنما على أسس إنسانية خلقية يتحقق بها التكافل والتعاون والمودة والرحمة بين الناس تقرباً إلى الله .

ثالثاً : أن الإسلام لا ينظر إلى المعاملات الاقتصادية على أنها مجرد معاملات بين الناس وبعضهم فقط ، وإنما على أنها معاملات بين الإنسان وربه ، يثاب الإنسان عليها إذا امتثل لأوامره – سبحانه – واجتنب نواهيه فى شأن المال ، ويعاقب إذا تعدى حدوده فيه .

رابعاً : أن المال مال الله والإنسان مستخلف فيه ﴿ **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ (١) .

خامساً : أن التملك فطرة إنسانية خلقها الله تعالى لتحفز الإنسان إلى مزيد من الجهد والإنتاج والانفاق وبالتالى عمارة الكون (٢) (*) .

﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ (٣) .

﴿ **وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو**

---

(١) سورة الحديد : آية ٧ .

(٢) الاقتصاد فى الإسلام ص ١٥٣ ومابعدها .

(*) اكتفيت بهذا النذر اليسير من ملامح الاقتصاد الإسلامى ، وأعترف بالتقصير فيه كذلك ، ولكن عذرى الوحيد أن المقام لا يتسع لبيان سمو النظام الاقتصادى فى الإسلام .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٤ .

فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [١] .

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٢]

ثالثاً : الإسلام وعولمة السياسة :

فإن كان أهم معالم العولمة الدعوة إلى إقامة نظام ديمقراطى يضع حقوق الإنسان والتعددية السياسية نصب عينيه ، درءاً لما يسمى بالديكتاتورية وحكم الفرد وتسلطه ؛ فإن الإسلام قد سبق العولمة إلى ذلك بما اشتمل عليه من نظام دينى ودنيوى فى آن واحد ، يقوم على قيم الشورى وحقوق الإنسان ، والتعددية لمراعاته أوجه الاختلاف بين البشر ، وجعل لهذه القيم قواعد ملزمة لا يجوز التنصل منها ، نظراً لمرونه مبادئه التشريعية ، وترك للمسلمين حرية اختيار الشكل الذى تطبق فيه الشورى بما يتناسب مع سمات كل عصر .

وبالنسبة للجانب السلبى:

تقوم العولمة السياسية على عدة مبادئ أهمها على الإطلاق إشاعة القول بضرورة سيادة مفهوم النموذج الديمقراطى الغربى على جميع دول العالم ، بغض النظر عن خصوصية أى دولة " حيث يرى مروجوا العولمة ومنظروها أن الديمقراطية الغربية هى الأصلح للتطبيق فى جميع الدول . [٣]

وبناء عليه كان لابد للعولمة من وسائل تساعدها على ترسيخ المبدأ السابق

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥١ .

(٢) سورة القصص : آية ٧٧ .

(٣) انظر العولمة والسيطرة على العالم لواء حسام سويلم ، مقال بصحيفة البيان الإماراتية عدد ٧ /٥/٢٠٠٠م .

، ولذلك جاءت لتعكس دور مايسمى بالمنظمات المستقلة فى مواجهة الدول ؛ خاصة فيما يتعلق بممارسة القوة السياسية والضغط لتطبيق أو صياغة سياسة معينة ، وهو عبارة عن تجنيد سياسى للمنظمات الإنسانية خاصة الناشطة فى مجال حقوق الإنسان كوسيلة من وسائل الترسيخ للعولمة بل وهذه الوسيلة لتصبح آخراً من مبادئ العولمة السياسية .

ألا وهو : مبدأ التدخل الدولى فى شئون الدول المستقلة بدعوى الأغراض الإنسانية .

وتبع هذا التدخل لاعتبارات إنسانية – تدخل آخر فى شئون الدول المستقلة – أعنى به التدخل الدولى فى النزاعات والصراعات التى تجرى فى بلد ما وترى فيها الدول الفاعلة فى النظام العولمى أنها " تمثل انتهاكاً لحقوق الإنسان الأساسية أو تمثل تهديداً للسلم والأمن الدوليين " [١] مع أن ميثاق الأمم المتحدة يحظر التدخل فى الشئون الداخلية لدولة ما من الدول دون سبق الحصول على تفويض من مجلس الأمن ، ومع ذلك نجد فى كل يوم انتهاكات لحريات الدول من الدولة العظمى الوحيدة وحليفاتها التابعة ، متذرعين فى ذلك بما يسمى (مبدأ حق التدخل الإنسانى) كتبرير لعدم الحصول على موافقة المجتمع الدولى متمثلاً فى مجلس الأمن .

ويرى الباحثون أن مبدأ التدخل الدولى فى شئون الدول المستقلة قد تبلور بوضوح فى اجتماعات الدورة الرابعة والخمسين للجمعية العامة للأمم المتحدة ، مع مطالبة الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة بتعديل مفهوم سيادة الدولة وإقرار مبدأ حق التدخل فى الشئون الداخلية لأسباب إنسانية .

وفى الحقيقة فإن الاتجاه العام فى تلك المطالب الأمريكية يعد ترسيخاً

---

(١) تداعيات العولمة السياسية ص ٢٧ .

للعولمة فى صورتها الخاصة " بحيث يتم فرض كل ماتسعى إليه الدول الغربية الرأسمالية بقيادة واشنطن تحت هذا المسمى الإنسانى . . . وبالتالى فإن من يرفض أو يعارض هذا التوجه فهو معاد لحقوق الإنسان " . (١)

وهذا كله من سلبيات العولمة السياسية وللإسلام منها موقف الرفض القطعى بالطبع .

وبصفة أساسية فى تطبيق الداعين لها لسياسة ازدواجية المعايير وسياسة الكيل بمكيالين على مخالفيهم ومخالفى حلفائهم ، وهذا مانعانى منه نحن المسلمون فى صراعنا التاريخى مع الاحتلال الصهيونى لفلسطين ، كما هو الحال فى العراق وإيران والسودان وليبيا وأفغانستان ، والشيشان ، ومن قبل كوسوفو والبوسنة والهرسك .

ويتضح بصورة أكبر فى مسألة امتلاك السلحة النووية ، فهو مباح فقط للحلفاء لزعم حماية أنفسهم بينما تفرض العقوبات وتقرع طبول الحرب ، وتغزو الدول الإسلامية ، وتقسَّم ؛ لشبه فى نواياها لامتلاك مثل هذه الأسلحة التى يعتبرونها مهددة لأمنهم ولحلفائهم وليغضب من يغضب وليثور من يشاء ، فإنها عولمة القهر السياسى والإلزام والضغط على المستضعفين ليخضعوا لسلطانها ، والانخراط فى قالب سياسى معين للحياة ليتقولب الناس فى داخله ولو قسراً .

وهذا كله مما يتعارض مع المبدأ العام للإسلام الذى لا يكره أحداً على اعتناقه عملا بقوله تعالى : ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (٢) .

---

(١) نحو رؤية عربية لضبط مفهوم حق التدخل الإنسانى ، د . عماد جاد ، مقال بصحيفة الخليج الإماراتية ١٠ / ٨ / ٢٠٠٠ م .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٦ .

وفى مقابل تلك السمة البارزة للعولمة – وهى فرض قالب معين للحياة – ؛ فإن الإسلام – دين الله الخاتم – يقر الاختلاف كأمر واقع ، فى الخليقة فطرها – سبحانه – به لحكمة يعلمها – جلا وعلا – ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١)

إنما يلزم الإسلام أهله بثوابت عقدية معينة ، ومبادئ ومعايير شرعية محددة ، لازمة لتكوين الإنسان الصالح ولكنه لا يجعلهم نسخاً مكررة كالآلات " والدليل الواقعى هو اختلاف المذاهب واختلاف الآراء الذى أقرته الأمة منذ يومها الأول . . . أما غير معتنقيه فإن كانوا يعيشون على أرضه وتحت رايته (فلهم مالنا وعليهم ماعلينا) وإن كانوا خارج أرضه فإن كانوا محاربين يحاربون ، وإن كانوا مسالمين يعاهدون عملاً بقوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) .

ومن قبل قالها ثانى خليفة على المسلمين ، الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لواليه على مصر – عمرو بن العاص – رضى الله عنه ياعمرو : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟! (٣)

إذن للعولمة السياسية جانب إيجابى يتفق مع بعض المبادئ الإسلامية ،

---

(١) سورة هود : آية ١١٨ – ١١٩ .

(٢) سورة الممتحنة : آية ٨ – ٩ .

(٣) انظر المسلمون والعولمة ص ٤٦ .

وآخر سلبى شديد التعارض مع أكثر المبادئ الإسلامية تجاه الإنسان وحقوقه .

فحقوق الإنسان فى صورة شمولية تجمع بنى الإنسان فى كل زمان ومكان لم يسبق إليها سوى الإسلام الذى كان حريصا على ترسيخها وتطبيقها بين الناس جميعاً بغض النظر عن جنس ، أو لون أو معتقد .

فأمر بالعدل بين الجميع ، وأفاضت مقاصد الشريعة الإسلامية فى حماية الأنفس والعقائد والعقول والأموال والأعراض وجميع مايتصل بها من حقوق وواجبات ، لم يسمع بها غير المسلمين إلا فى العصر الحديث باستثناء من اختلط بالمسلمين .

فإذا جاءت الآن دعوة (العولمة) إلى إقرار الحريات السياسية ، وحقوق الإنسان ، فذلك جانب إسلامى أصيل من شتى مبادئ الإسلام الراسخة التى تبنت هذه الحقوق وغيرها بل ، وجعل الالتزام بأحكامها لضبط حركة العباد الاختيارية ، بعض ماتقتضيه العقيدة لإسلامية ، بل إن العقيدة نفسها لايتم الإيمان بها ولا تؤتى ثمارها إلا فى ظل نظامها الإسلامى بما لأفراده – مسلمين وغيرهم – من حقوق إنسانية فى شتى المجالات وأهمها إقامة العدل بجميع صوره ليس السياسية فقط ، بل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ فالشريعة الإسلامية فى الأساس " هى مجموعة من القيم الحضارية والأخلاقية والعملية ، قبل أن تكون مجموعة من القوانين وقد نزلت أصلاً لكى ترسى تلك القيم فى المجتمع الإنسنى ، وتزكى كل ماهو نبيل وشريف على وجه الأرض " . (١)

وبهذا يكون الإسلام سباقاً على النظم الوضعية فى مجال الحقوق الإنسانية ومنها العولمة على وجه الخصوص التى يعد اهتمامها بالحقوق الإنسانية من أهم

---

(١) المقالات المحظورة – أ . فهمى هويدى ص ٢٣٤ – ط ١ – القاهرة – دار الشروق – ١٤١٨ هـ – ١٩٩١ م .

الجوانب الإيجابية فيها ، والتى لا يرفضها الإسلام بل يدعو إلى توسيع قاعـــدتها لضمان شمولها لأفراد النوع الإنسانى كله .

رابعاً : الإسلام وعولمة الثقافة :

وعولمة الثقافة إن عنى بها تكوين " ثقافة عالمية مشتركة من شأنها أن تجعل الإنسان أكثر وعياً بالمصير المشترك للبشرية ، وأكثر إدراكاً للمخاطر التى تتهددها " . (١) كالتعريف بالمخاطر التى تتهدد البيئة من جراء التصرفات غير المسئولة للبعض ، وكالتحذير من نشر أسلحة الدمار الشامل تعميماً لثقافة السلام بين الأمم ، وبالمثل التحذير من الجريمة المنظمة ، أو الإدمان وغير ذلك

فمما لاشك فيه أن هذا جانب إيجابى لعولمة الثقافة لاخلاف على قبول الإسلام إياه ، لأن الإسلام دين متفتح لا يرفض ثقافة معينة لمجرد كونها أجنبية ، وإنما ينظر فيها ويفحصها بعناية ، ويأخذ مايفيده منها فى مسيرته الحضارية .

وبالنسبة للجانب السلبى :

ففى ظل ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال ، فإن الطرف الأقوى – منسق العولمة – يستطيع فرض تصوراته وقيمه الخاصة ، بحيث يعيد تشكيل الوعى الثقافى والأخلاقى والفكرى – بصفة عامة – لدى الأطراف الأضعف .

وفى هذا الصدد يشير المحللون للعولمة بأن التحدى الأكبر الذى يلغى – تقريبا – الحدود الفكرية والثقافية والأخلاقية ؛ هو تحدى وسائل الأعلام الدولة المتنقاة عبر موجات الهواء أو الهابطة من سماء الأقمار الصناعية ، أو حتى المرسلة عبر شبكات الانترنت الدولية " فهذه الأشياء تلغى الحدود القائمة بين الدول وتنتهك سيادة الدولة على أراضيها " . (٢) وهذا كله له أثره على الجانب الروحى والدينى للإنسان .

فالسعى نحو استبعاد المفاهيم الروحية والإنسانية المستمدة من الرسالات

---

(١) الإسلام فى عصر العولمة ص ١٦ .

(٢) انظر تداعيات العولمة ص ٣٢ ، ٣٤ .

السماوية ، أو حتى السعى نحو القضاء على كل الثقافات والهويات والمبادئ لإقرار نمط ثقافى عولمى بعينه – وهو فى الوقت نفسه ثقافة القوى – أى النمط الأمريكى – وجعله نمطاً ثقافياً وحيداً ، ينبغى التسليم والانقياد له ؛ فهذا وجه سلبى من وجوه عولمة الثقافة وهو غير مقبول إسلامياً ، ولا إنسانياً .

أما عدم قبوله إسلامياً ؛ فذلك لأن الإسلام يأبى لنا كمسلمين إلا أن نكون فاعلين ومؤثرين ، لا منفعلين متأثرين . فلطالما كانت إسهامات المسلمين الحضارية علمية وثقافية هى الركيزة الأساسية للحضارة الغربية الحديثة ، فلولا العلماء المسلمون أمثال جابر بن حيان ، والخوارزمى وغيرهما ؛ لما كان بيكون وديكارت ، ونيوتن ، ولما تصورت حضارة للغرب أصلاً ، إنه واقع وتاريخ ، وليس تعصباً أو حنيناً للماضى . (١)

وأما عدم قبوله حضارياً ؛ فذلك أيضا لأننا كمسلمين ، لسنا بدعاً بين الأمم عندما نرفض أو نتجنب سلبيات العولمة الثقافية التى لها تأثير ضار على هويتنا الثقافية الإسلامية .

فمن قبل قامت الدول الأوربية التى تسوّق لنا العولمة باتخاذ إجراءات وقوانين من شأنها حماية خصوصياتها .

فمثلاً رفضت السلطات الفرنسية السماح للعرب المهاجرين باستخدام أجهزة البث الفضائى – الدش – فى بعض المناطق ، وموقف فرنسا من الحجاب معروف ، ورفض استعمال كلمات غير فرنسية لمحلاتها .

ونفس الأمر ينسحب على سويسرا حينما صادرت السلطات السويسرية بعض كتب المفكر الفرنسى – روجيه جارودى – وصادرت السلطات البريطانية كتاب عن رئيسة وزرائها – مارجريت تاتشر – وأيضا مصادرة فيلم عن المسيح

---

(١) انظر الإسلام والحداثة – د . مصطفى الشريف ص ٢٣ .

- عليه السلام - رأى أنه مغرض ومسيئ . (١)

فمن حقنا نحن أيضا - كمسلمين - أن نرفض ونتلافى سلبيات العولمة الثقافية التى تقوم على تدمير خصوصياتنا الدينية ، والثقافية ، والتاريخية والوطنية ؛ لأن ثقافة العولمة فى صورتها السلبية المدمرة للخصوصيات ، والهويات الحضارية ، والمبادئ الدينية ؛ تعد إلغاء تدريجى للدين وطرحه كلية .

بل على العكس ، يمكن للمسلمين الاستفادة من الثورة التكنولوجية ، وعولمة الثقافة ، من خلال عملية التواصل الإنسانى على شبكة المعلومات الدولية - الانترنت - التى تمثل انقلاباً رهيباً فى الإعلام العالمى .

وهو ماحدث بالفعل ؛ إذ اتاحت هذه الشبكة عالية التقنية قدراً كبيراً للنشاط الإسلامى الإعلامى لمؤسسات إسلامية كثيرة ، كبيرة أو صغيرة ، أن تعبر عن آرائها الإسلامية فى شتى القضايا بدليل آلاف الإصدارات والمجلات والصحف الإسلامية التى تبث عبر الإنترنت ، وتصل إلى كل العالم ، مخترقة حواجز رهيبة ، كانت فى السابق من المستحيل اختراقها " إن شبكة الانترنت ساعدت على إحياء معانى كبيرة وجليلة فى الحالة الإسلامية ، وفى مقدمتها معنى الجسد الواحد للأمة إذا اشتكى منه جزء تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى " . (٢)

يبقى فى نهاية الأمر القول : " إن الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية وحماية أبناء المسلمين من خطر الذوبان فى أية ثقافة أخرى يكون بتحصينهم بثقافة إسلامية رشيدة تحرك المياه الراكدة فى مجتمعاتنا الإسلامية ، وتؤدى إلى

---

(١) من مقال عن الأعلام الإسلامى وتحديات العولمة - أ . جمال سلطان - بمجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامى - عدد ١٧٠ - لندن - ديسمبر ٢٠٠١ .

(٢) انظر مقال حول الإعلام الإسلامى وتحديات العولمة - مجلة البيان .

تغيير العقليات لتنطلق الأمة الإسلامية إلى آفاق التقدم والارتقاء " . [١]

فعبر هذه الآليات الجديدة يمكن عصمة الأمة الإسلامية عن التميط والتبعية ، على الأقل فى جانب العقيدة والأخلاق ، الأمر يتوقف على إرادة الأمة الإسلامية – نفسها – والإيمان بأن الاختلاف سنة الله فى الخلق ، وأن هذا العالم سيبقى رغم كل شئ ثقافات وهويات متعددة ، وليس هوية واحدة ، وليس قرية واحدة . [٢]

خامساً : الإسلام وعولمة التعليم واللغة :

فإن التعليم يندرج فى جانب منه تحت عولمة التكنولوجيا والتقدم أعنى به الجانب العملى ، والجانب الآخر – النظرى – يندرج تحت عولمة الثقافة والأعلام وسبق بيان موقف الإسلام منهما .

بينما عولمة اللغة ، اجتياح لغة ما – الانجليزية – لسائر اللغات ولاسيما لغتنا العربية التى تعرضت لكل ماينصب عليها من معاول الهدم ، ودسائس الراصدين ؛ فهذا أمر مرفوض بل لابد من مواجهته للحفاظ على لغة القرآن الكريم وإعادة الثقة بها ، وعدم الارتكان لتغريبها فى عالمها العربى ، فيجب نشرها فى أكبر رقعة جغرافية ممكنة ، وبين الأقليات غير العربية التى تعيش فى البلاد العربية ، وكذا فى البلاد الإسلامية الناطقة بغير العربية مع نشر العربية الفصحى بين المتحدثين بالعامية ، والحد من توسع اللغة الإنجليزية وخاصة فى المجالات التى يمكن الاستغناء عنها [٣] . وهذا لايمنع الاستفادة من اللغات الأخرى .

---

(١) الإسلام فى عصر العولمة ص ١٨ .

(٢) انظر مقال عن الأعلام الإسلامى وتحديات العولمة – مجلة البيان – عدد سابق ذكره .

(٣) انظر مقال حول العولمة اللغوية ، أ . هيثم بن جواد الحداد ، منشور بمجلة البيان عدد سابق ذكره .

سادساً : الإسلام و عولمة الأخلاق :

فكما أشير من قبل أن المرأة والأسرة تمثلان أهم محاورها ، فهذا محور اجتماعى أخلاقى – معا ، فإن كان يقصد من ورائه الدعوة إلى تعليم المرأة وإزالة الأمية عنها ، ومكافحة أمراض النساء فى البيئات الفقيرة ، والدعوة إلى المساواة فى الأجور بين المرأة والرجل – بنفس العمل وبنفس الجودة – ، ومحاربة التحرش الجنسى ضد المرأة فى الشارع والعمل ، وتوعيتها بمسئوليتها عن أولادها وتنشئتهم تنشئة طيبة ، ومنع استغلالها أو استغلالهم جنسياً تحت أى ظرف ، والتحذير من الانتقاء الجنسى قبل الولادة – وكراهية البنات ، وما إلى ذلك من كافة أمور التمييز ضد المرأة ؛ فهى أمور إيجابية يقبلها الإسلام لسبقه إليها فى نظرته إلى الأسرة ودورها فى صلاح المجتمعات عامة .

أما إن كانت عولمة الأسرة والأخلاق يقصد بها الإقرار بالأشكال المختلفة والمتعددة للأسرة – بدون زواج بين الرجل والمرأة – ، وإلى التثقيف الجنسى للمراهقين والمراهقات مع اختلاطهم فى المدارس والجامعات ، والإقرار بالعلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج ، وتقديم الدعم للزناة والزانيات ، والدعوة إلى إسقاط قوامة الرجل على المرأة داخل الأسرة ، وسلب ولاية الآباء على الأبناء ، والدعوة إلى السلوك الجنسى المأمون ، والتعاطف مع المصابين بالأمراض الجنسية – كالإيدز مثلاً – والإجهاض ، وما إلى ذلك من مساوئ أخلاقية .

فهذا كله مما لايقبله الإسلام ولا يتفق مع بنائه الأخلاقى الذى ينظر إلى الإنسان – بغض النظر عن جنسه – نظرة مستقلة تختلف عن غيرها اختلافاً أساسياً ، أهم ماجاء فيها أن الإسلام يأخذ الكائن البشرى على ماهو عليه ، فلا يحاول أن يفسره على ماليس من طبيعته ، وفى الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع ، دون أن يكبت شيئاً من النوازع الفطرية ، أو

يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع وبين المثل العليا التى يرسمها له ، فالإنسان جسم وعقل وروح ، وتقبله الإسلام على هذا الأساس بما فيه من شهوات ، ولذلك فرض عليه قيوداً لحفظ كيانه الفردى ، لا للتحكم فيه ولا استعباده ، ولا لترك الحبل له على غاربه فى شهواته ، لأن هذا وذاك يعود عليه بأبلغ الضرر وبالتالى على مجتمعه ، بل على الإنسانية بأسرها .

لذلك وضع الإسلام اعتبارات عديدة فى النظر إلى الإنسان ، أهمها أن جميع أفراد النوع الإنسانى متساوون أمام الله فى الاعتبار البشرى ، والمسئولية الشخصية ، فلا فرق بين عنصر وعنصر ولون ولون بل ؛ المفاضلة بالمدى الإنسانى وحده .

والأهم من ذلك اسقاط الوساطة بين الإنسان وربه ، والمساواة أمام شريعة الله ومافيها من عدل وحماية للأعراض وصيانة للنفوس من الاضطهاد ، وحماية الخصوصيات ، وعدم التفرقة فى فرص العيش ولا دون غبن أو خداع أو استغلال . (١)

ومن أجل هذه المساواة كانت المسئولية أمام الله – تعالى – على اعتبار المفاضلة فى الإنسانية وعلى المشيئة التى خلقها الله للإنسان لما يعود منها من نتائج على الفرد أولاً والمجتمع ثانياً .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٢)

والإسلام يرفض أن يكون الإنسان عبداً لشهواته وغرائزه مقهوراً عليها

---

(١) انظر فى ذلك كل من : الإنسان بين المادية والإسلام – أ . محمد قطب ص ١٢٩ ، الفكر الإسلامى فى المجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه أ . د / العلامة محمد البهى ص ٢٠ ، الإسلام والمناهج الاشتراكية الشيخ / محمد الغزالى ص ٢٤٤ ، الإسلام ومشكلات الحضارة أ . سيد قطب ص ١٨٢ .

(٢) سورة فصلت : آية ٤٦ .

لايملك معه إرادته .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (١) .

أما العلاقة بين الرجل والمرأة ، فقد عنى الإسلام أولاً ببيان تساوى الزوجين فى الناحية الإنسانية .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

وعنى ثانيا بأن يتساويا من ناحية علاقتهما بربهما .

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ (٣) .

بالإضافة إلى تنظيم العلاقة بينهما سواء الزوجية الخاصة أو الاجتماعية العامة .

﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ (٤) .

وبين حقهما فى الملكية ، والكسب ، والميراث ، مع خصوصية كل منهما ببعض الفروع .

﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ (٥) .

كما بين قيام الأسرة ، ونظام التعامل فيها من حقوق وواجبات الزوجين وحقوق الأطفال الناشئة – ثمرة التقائهما – ؛ فالرجل القوامة فى البيت لحفظ

---

(١) سورة محمد : آية ١٢ .
(٢) سورة النساء : آية ١ .
(٣) سورة آل عمران : آية ١٩٥ .
(٤) سورة البقرة : آية ١٨٧ .
(٥) سورة النساء : آية ٣٢ .

كيان الأسرة من التفكك فى مهب النزوات العرضة .

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ ﴾ (١).

بل إن الإسلام أنقذ المرأة ، وارتفع بها من المهانة والنكسة التى مرت بها على اختلاف العصور ، ابتداءً من عدم الاعتداد برأيها وانتهاءً بوأدها ؛ ففرض لها المساواة مثل الرجل بما يستقيم مع طبيعتها ولم يحرمها من المساواة ، إنما هو الإعفاء مما لا يتناسب وطبيعتها .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

والأهم من ذلك كله ، أن طبيعة نظرة الإسلام إلى الإنسان لا يسمح بأن تكون العلاقة بين الجنسين هى مجرد العلاقة الجنسية الحيوانية القائمة بين أزواج الحيوان ، بل لها معنى ومغزى أكبر وهو الحفاظ على المجتمع الإنسانى ممثلاً فى الأسرة .

ولذلك حرص الإسلام على أن يكون الزواج هو الطريقة التى يلتقى بها الرجل والمرأة هادفاً من وراء ذلك إنتاج النسل لتحقيق الغاية من الحياة بنظام واحد دقيق .

وهكذا يندرج من المجتمع الواحد إلى المجتمعات الأخرى إلى الإنسانية الشاملة فى النهاية على هذا النسق المتوافق الذى يجعل جزئيه – الرجل والمرأة

---

(١) سورة النساء : آية ٣٤ .
(٢) سورة البقرة : آية ٢٢٨ .

- وسيلة لغاية أكبر . [١]

وبالنسبة لعولمة الأخلاق على النحو المشار إليه فوالله لا أرى فيه إلا العودة إلى التفسير المادى للأخلاق فى الفكر الشيوعى الماركسى ذلك التفسير الذى يربط الأخلاق كما يدعى الشيوعيون بالعامل الاقتصادى فى تطوره الحتمى ، وبالتالى تحديد الاقتصاد للأخلاق فتأتى فى صورة قيم وسلوك متغير على الدوام .

ولذلك لابد لنا كمسلمين من نبذ الجانب السلبى من عولمة الأخلاق على الفور لأنها لا تستقر على حال ولا ترجع إلى أصل ، يراد بها النكوص بالإنسان إلى الحيوانية لتتناسب مع الانحلال الخلقى فى عالم العولمة الاستهلاكى .

فليس ثمة - مصدر غيبى إلهى - لقيم أخلاقية ثابتة ولا مكانة لقيمة أخلاقية مطلقة أو مجردة ، ولا وجود لإرادة إنسانية كقوة تناط بها أخلاق الفرد وتتكون فى ضميره ، بل على العكس إن العولمة فى مجال الأخلاق تعد غلبة للحسية وابتعاد عن القيم العليا خروجا على أدب الاحترام فى المجتمعات الإنسانية .

وهذا كله مرفوض إسلامياً ، لأن أهم ماتتميز به الأخلاق فى الإسلام هو أنها تستمد أصلاً من توجيهات الله - تعالى - كمصدر وحيد لها فى أمره بالمعروف وتهيه عن المنكر ، ومن ثم ترتبط بالدين الإسلامى ارتباطا لا ينفصل ، فهى جزء لا يتجزأ من الإسلام .

إنها لا تفرق شيئا عن التشريع الذى ينظم الحياة ، فكما أن الإسلام يركز

---

(١) يراجع فى ذلك : الإسلام فى حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة د . محمد البهى ص ٨٣ - ٩٥ - وللمؤلف نفسه الدين والدولة من توجيه القرآن ص ٢٧١ ، الإسلام ومشكلات الحضارة ص ٦٧ ومابعدها .أ . سيد قطب ص ٢٣٠ ومابعدها .

على حقيقة تفرد الله بالألوهية ، فكذلك يجعل المصدر الوحيد للأخلاق هو الله . وما يقرره الله لأنها فى النهاية قضية واحدة . فالعدل والإحسان والرحمة هى أهم سمات الأخلاق الإسلامية .

والقرآن الكريم فى وصاياه الأخلاقية للفرد نحو نفسه يبغى أن يكون المسلم إنسانا مهذباً فى قوله . . . إيجابياً فى الحياة بعمله . . . بحيث لا تكون إيجابيته على منفعته وحده . . . لا اعوجاج فيها ولا زيف ، ولا خداع ، ولا اغتصاب ، وإنما هى علاقات قائمة على الرضا والاطمئنان ، وفيها متعة تفوق كل المتع المستهلكة فى الحياة تحقيقا للرغبات الخاصة . (١) (*) .

---

(١) الإسلام فى حياة المسلم للدكتور : محمد البهى ص ٦٢ ، وفى المعنى ذاته .
انظر : أبو ذر الغفارى والشيوعية للإمام الدكتور : عبد الحليم محمود ص ٧٥ ومابعدها .

(*) اكتفيت بهذا القدر من بيان موقف الإسلام من عولمة الأخلاق مع ماقى ذلك مع اعتراف بالتقصير فى بيان حقيقة منهج الإسلام فى الأخلاق ونظرته إلى الإنسان والأسرة ؛ لعدم اتساع المقام لذلك .

الآثار السلبية للعولمة على العالم الإسلامى

لا يخفى على كل ذى عقل أن الأمة الإسلامية – وحدها – اليوم هى أكثر الأمم تعرضاً لسلبيات ؛ بل لانحرافات العولمة على كافة الأصعدة .

فعلى الصعيد السياسى : هناك عدة قضايا ينبغى التوقف أمامها أهمها : حق تقرير المصير ، والإرهاب .

أما حق تقرير المصير ؛ فنكاد تكون الأمة الوحيدة المحرومة من حق تقرير مصيرها ، إذ غدا التدخل الدولى فى شئوننا الداخلية حقاً مقصوراً على قوى الهيمنة الغربية فى النظام العالمى الجديد [١] ، والأسباب معلومة أهمها :

النفط ، واسرائيل ؛ فهذين السببين يثيرا نوعاً من الحساسية لدى (الآخر) ؛ لأن العالم الإسلامى بدوله المنتشرة فى آسيا وافريقيا قد حباه الله تعالى بثروات طبيعية وبشرية لم تتوفر لغيرها من دول العالم وبخاصة منطقة الشرق الأوسط ، فليس العالم العربى منه – مثلاً – مجرد منطقة أو سوق لبيع السلع ، أو استثمار رؤوس الأموال ، بل هو مستودع لأكبر مصدر للنفط فى العالم ، بخلاف دول آسيا الوسطى الإسلامية التى كانت تحت النفوذ الشيوعى السوفيتى سابقاً ، ونال بعضها حق الاستقلال – الصورى – بسقوط الاتحاد السوفيتى ، إذ تشتهر هذه الدول بالثروات الطبيعية والحيوانية والأراضى الخصبة ذات الإنتاجية العالية ، واحتياطى البترول الذى يفوق بترول الشرق الأوسط ، فضلاً عن المعادن وأبرزها اليورانيوم ، أساس الإنتاج النووى . [٢]

أما إسرائيل ؛ فإن العالم الإسلامى هو حائط الصد الوحيد أمام الأطماع

---

(١) انظر الإسلام والأمن الاجتماعى د . محمد عمارة ص ١٠٦ ، ط ١ -- القـاهرة – دار الشروق ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

(٢) انظر تداعيات العولمة السياسية والأمنية على الدول الآسيوية ، ص ٩٦ .

الصهيونية بعد أن بلغت دولتها – إسرائيل – أقصى نمو عسكرى وتكنولوجى فى ظل العولمة ، مما يجعلها قادرة على التوسع الجغرافى والاقتصادى ولو على حساب العرب أجمع [١] وليس الفلسطينيين وحدهم .

وعلى ذلك تمثل عولمة السياسة بمالها من سلبيات ، موقفاً ثابتاً يحرِّم الشعوب الإسلامية من حق تقرير مصيرها دون شعوب العالم أجمع ، وهو موقف ثابت وقائم فى الممارسات والتطبيقات الدولية من فلسطين إلى العراق ، ومن البوسنة إلى الشيشان ، ومن السودان إلى الصومال والبقية تأتى .

" فليس لأى من الشعوب الإسلامية حق تقرير لمصير ما للأرض أو العرب . . . فضلاً عما لليهود من حقوق ، فكل مولود من أم يهودية شرعيا كان أو غير شرعى ، ومن أى جنس ووطن ولغة وقومية ، من حقه وفق القانون الصهيونى الذى تفرضه حراب الغرب وهيمنته أن يقرر استيطان فلسطين . . . فى الوقت الذى يحرم من هذا الحق أبناء فلسطين " . [٢]

﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ﴾ [٣] وحقاً قال رسول الله ﷺ:"بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء " . [٤] كما صدق عليه السلام فى استشرافه أحوال أمته المستقبلية حين قال لأصحابه : " يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها " قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : " إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولا ينزعن الله المهابة من صدور أعدائكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن " قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت " . [٥]

---

(١) انظر عصر التشهير بالعرب والمسلمين ، د . جلال أمين ، ص ١٠٦ ، ط ١ .

(٢) الإسلام والأمن الاجتماعى ، د . محمد عمارة ص ١٠٦ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢١٧ .

(٤) رواه ابن ماجه فى سننه باب الفتن .

(٥) رواه أبو داود فى سننه باب الملاحم وأحمد فى مسنده والترمذى فى سننه .

** أما الإرهاب ، فهو التهمة الجاهزة لكل من تسول له نفسه انتقاد النظام العالمى الجديد ، خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م ، بل وصار الإرهاب هو السمة العامة لأى مسلم ومسلمة فى أى مكان فى العالم ، مع أن السياسة العولمية مزدوجة المعايير ، التى تكيل بمكيالين فى كل مايتعلق بالمسلمين مع غيرهم ؛ لهى السبب الرئيس لما يسمى بظاهرة الإرهاب . حتى اتسع مفهوم الإرهاب ليشمل كل أشكال المقاومة بما فى ذلك مقاومة الشعوب للدفاع عن حرياتها واستقلال أراضيها ، واستبعد فى المقابل إرهاب الدولة التى تمارسه إسرائيل التى لها وحدها حق القصف والإبادة والاغتيال للفلسطينيين والعراقيين وغيرهم دون تهمة من إرهاب أو غيره ، والفضل (للفيتو الأمريكى) فى مجلس الأمن والأمم المتحدة الذى يحول دون فرض عقوبات على إسرائيل – فتى أمريكا المدلل أو الولاية الخمسون من الولايات المتحدة .

والحق إن سياسة العولمة تجاه المسلمين على النحو السابق لهى التى تعطى المثال الأول فى عالم التطرف والإرهاب بادعائها امتلاك الحقيقة المطلقة ، والحق المطلق فى كل شىء ، وبالتالى تفرضه على الآخرين ، فيتولد بذلك الإرهاب احتجاجاً على الإرهاب الغربى وشركائه فى إسرائيل [١] .

إن نار الإرهاب والتطرف المحرقة لايمكن حصرها على المسلمين لأنها تشمل كل الغاضبين على سياسات الهيمنة فى مواقع مختلفة من العالم،بما فى ذلك داخل الولايات المتحدة نفسها ،بل ويشمل أفراد ومنظمات لم تظهر بعد"ولا يجمع بين كل هؤلاء إلا الغضب والرغبة فى إضعاف القوة العظمى الوحيدة " . [٢]

فالإرهاب الذى يبررون به إبادة المسلمين ، يحركه قبل كل شئ المظالم

---

(١) انظر عصر التشهير بالعرب والمسلمين ، د . جلال أمين ص ٢١ .

(٢) الإرهاب وأمريكا والإسلام ، د . وحيد عبد المجيد ، ص ٤٠ من إصدارات مهرجان القراءة للجميع – الأعمال الخاصة ٢٠٠٤ م .

السياسية الناجمة عن الغطرسة ، وازدواجية المعايير ، وعن إحساس حاد بالظلم والإجحاف فى الوقت الذى تدخل فيه معاناة الشعوب المضطهدة ، كل بيت بفضل عولمة الاتصال . (١)

** هناك نقطة أخيرة بصدد الانحرافات السياسية للعولمة وأثرها على العالم الإسلامى ألا وهى وضع الدول الإسلامية فى ظل هيمنة القطب الأوحد .

ففلسطين مثلاً ، لا تبشر فيها الأمور بالخير ولو على المدى البعيد إما لأسباب داخلية فلسطينية فلسطينية أو لأسباب دولية مؤيدة للاحتلال الصهيونى ، والصلف الإسرائيلى فى بنائه للمستعمرات ، والجدار العازل العنصرى ، والإبادة الجماعية للفلسطينيين ، وتدنيس المقدسات الإسلامية ، والمحاولات المتكررة لهدم المسجد الأقصى الشريف – ثالث الحرمين ، ومسرى الرسول الكريم ﷺ – .

والحقيقة إن السياسة الدولية تجاه فلسطين لهى " سياسة موجهة من بعد عبر جهاز للتحكم من جماعة ضغط أو لوبى وهو اللوبى الإسرائيلى . . . الذى يتمتع بنفوذ هائل فى السياسة الأمريكية " (٢) والفضل أيضا للفيتو الأمريكى ؟ ؟ !

** أما العراق ، فإن ترسيخ القيم الديمقراطية ، والقضاء على الديكتاتورية ، وحماية الأمن العالمى والتدخل الإنسان ،هى الشعارات المرفوعة منذ مايقرب من سبعة عشر عاماً ، من وقت حرب الخليج الثانية ١٩٩٠ م ، فكانت فرصة من ذهب للسيطرة على منابع بترول العالم الإسلامى فى منطقة الخليج العربى ، والإعلان بعدم السماح لأى شعب أن يصل إلى أعلى التقنيات أو استخدام الثروات القومية وأهمها البترول . (٣)

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٧٥ .
(٢) أمريكا طليعة الانحطاط ، روجيه جارودى ، ص ٧٨ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٢٠ ومابعدها .

وكان الحصار الاقتصادى الرهيب (*) ، والتهديد اليومى بالإبادة لنظام العراق بأكمله ، بزعم امتلاكه أسلحة الدمار الشامل ، والهدف إحكام القبضة على بترول العراق ، حتى رأينا القوات المحتلة تفرض سيطرتها - بمعاونة أذنابها العراقيين الذين جاءوا على دباباتها - على وزارة البترول العراقية حيث الوثائق والخرائط والرسوم الضرورية لحقول البترول العراقية ، وفى الوقت نفسه غض البصر عن عمليات قتل المصلين ، وهدم المساجد ، ونهب وسرقة متحف الحضارة العراقية . (١)

ولا ينسى القائمون على الأمور هناك إثارة النزاعات العرقية المذهبية بين العراقيين خاصة بين الشيعة والسنة ، من عمليات إبادة وحرق مساجد والتمثيل بالجثث ، وكذا إشعال النعرات الطائفية والقومية بين العرب والأكراد والتركمان وغيرهم من العرقيات الموجودة بالعراق بل وفى أى مكان من العالم الإسلامى بغية تفتيت قوته وعدم قدرته على المقاومة ، فبفضل ذلك تحولت الأقليات الدينية والقومية فى العالم الإسلامى إلى " ثغرات لاختراق أمننا الوطنى والقومى والحضارى بدلاً من أن تكون لبنات فى سياج أمننا القومى ، وذلك فى أمة يتميز تاريخها دون تواريخ الحضارات الأخرى بالتعددية فى الملل والأقوام " . (٢)

ولا مانع أيضا بالتلويح فى وجه بلد كمصر بورقة المعونات الاقتصادية أو

(*) فى إحصائيات منسوبة لمنظمة الصليب الأحمر الدولية التابعة للأمم المتحدة نجد أن العراق قد قذف أثناء الحصار الاقتصادى بمتفجرات أسفرت عن مقتل ٢٠٠ ألف قتيل مدنى وأن مايقرب من ٥٠٠ ألف طفل عراقى فقدوا حياتهم من جراء نقص الطعام والرعاية الصحية ، أما مامنيت به العراق أثناء الاحتلال من متفجرات فهى تزيد عما ألقى على هيروشيما باليابان أثناء الحرب العالمية الثانية ثماني مرات . (انظر أمريكا طليعة الانحطاط ، ص ٧١ ، ١٢٥) .

(١) انظر عصر الشهير بالعرب والمسلمين ص ٥١ .

(٢) الإسلام والأمن الاجتماعى ، د . محمد عمارة ص ١٠٧ .

الفتنة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين ، والزعم الجاهز باضطهاد الأقباط كلما ظهر للقيادة المصرية موقفاً مؤثراً معارض لسياسة العولمة على الصعيد المحلى أو الدولى .

ولا مانع كذلك من استئجار دعوى مذهب أو نحلة خارجة عن الإسلام كالبهائية وتدعيمها فى المطالبة بالاعتراف الرسمى أو الشعبى عياناً بياناً مع التهديد بالاستعانة (بالآخر) لاستخلاص مايسمى بحق حرية الاعتقاد وينبرى لتحقيق ذلك مايسمى بالجمعيات الأهلية العاملة فى حقل الدفاع عما يسمى بحقوق الإنسان ، وهى أصلاً مخترقة بالتمويل من منظمات غربية تتخذ من ذات الشعار – حقوق الإنسان – سبيلاً للتدخل فى شئون الأمة الإسلامية . ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [١] ولقد صدق الرسول الكريم ﷺ إذ قال : " إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته " . [٢]

هذا قليل من كثير من سلبيات عولمة السياسة وأثرها على العالم الإسلامى ، مما يضيق المقام عن ذكره .

﴿ **وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [٣] .

وبالنسبة للآثار السلبية لعولمة الاقتصاد على العالم الإسلامى

فقد أشار إليه مبكراً وبالتحديد فى صيف ١٩٩٠ أحد المؤرخين الغـربيين ويدعى (ريتشارد إيمرمان) بصحيفة النيويورك تايمز الأمريكية إذ أشار إلى أن

---

(١) سورة الأنفال : آية ٣٦ .

(٢) اخرجه البخارى فى صحيحه ، ح / ٤٣١٨ .

(٣) سورة يوسف : آية ٢١ .

القوة والأمن الأمريكيين يعتمدان بشكل أساسى على الموارد الأولية من العالم وبالتدخل فى أسواقه الداخلية ، وبالأخص دول العالم الثالث ، ومنها بالطبع الدول الإسلامية ، ولذلك تحرص الولايات المتحدة على أن تبقيها تحت السيطرة الشديدة . (١)

** ولا يخفى فى هذا المقام ماتمارسه عولمة الاقتصاد على الدول الإسلامية من خلال منظماتها الاقتصادية الدولية ، كصندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى ، والاتفاقيات الاقتصادية المشروطة بتقديم تنازلات اقتصادية وسياسية ، بل واجتماعية وأخلاقية ، ودينية .

ولا تبغى هذه المنظمات العالمية سوى تركيع الاقتصاد الإسلامى والعربى حتى إن منظمة كمنظمة – التجارة العالمية – مثلا – فى تنسيقها مع البنك الدولى ، وصندوق النقد ، تضع العراقيل والقيود على الدول الإسلامية التى ترغب فى الانضمام إليها بداية من التعامل معها باستعلاء وتجاهل ، ونهاية باشتراطها الدمج الكامل للاقتصاد الإسرائيلى فى اقتصاديات الدول الإسلامية والعربية بغية التراجع عن مقاطعة إسرائيل ، والاتجاه نحو التطبيع الكامل معها ، والأمر على ذلك لاصلة له بعولمة الاقتصاد فقط ، وإنما يتخذ أبعادًا خطيرة فى الجانب العسكرى الاستراتيجى،والفكرى بل والعقدى فى صراع المسلمين مع اليهود (٢) والأوضاع داخل فلسطين المحتلة .

** بخلاف ماتحتمه عولمة الاقتصاد من اتباع الدول العربية والإسلامية لإجراءات اقتصادية معينة أهمها مايسمى اقتصادياً بتعويم العملة ، وتخفيض النفقات العامة فى النواحى الاجتماعية ، والتعليم والصحة والإسكان ، وإلغاء

---

(١) انظر أمريكا طليعة الانحطاط ص ٨٢ .

(٢) انظر مقال حول منظمة التجارة العالمية والعولمة الاقتصادية ، د . محمد بن سعيد العصيمى ، مجلة البيان ، عدد سابق ذكره

الدعم بما فى ذلك الغذائى ،وخصخصة الشركات والهيئات العامة،أو رفع تعريفاتها فى الكهرباء والماء والمواصلات ، وإلغاء الرقابة على الأسعار.. . إلخ

ومالذلك كله من آثار اجتماعية خطيرة ، ليس من أقلها – مثلاً – ظهور طبقة طفيلية تمارس مايسمى (بالتجارة تحت الأرض) أو الاقتصاد الخفى كالأرباح المتولدة من تجارة المخدرات ، والمضاربة فى الأراضى والعقارات والمجال الزراعى والحيوانى والصناعى الحرفى ، وأنشطة أخرى لايمكن إجمالها تحت هذا النوع من الاقتصاد بسبب طبيعتها الخاصة المخالفة للقانون مثل الرشوة والعمولات والسرقة وتهريب السلع والأموال ، والقمار والدعارة ، والتهرب الجمركى والتجارة فى العملات . (١)

وهذه الأنشطة تدخل ضمن دائرة الجريمة الاقتصادية وهى أنشطة لها آثار تخريبية واضحة على بنية الاقتصاد القومى وعلى كفاءة أدائه ، ومن الجدير بالذكر أن من قاموا بهذه الأنشطة تمكنوا من غسيل أموالهم وعادوا إلى الظهور فى صورة شخصية محترمة (رجال أعمال) . (٢)

ولا يمكن تجاهل أن مثل هذه الأنشطة السابقة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوظائف العامة التى تمكن لأصحابها التربح من ورائها ، وانتشار الفساد بصورة لم يسبق لها مثيل . (*)

---

(١) انظر الآثار الاجتماعية للعولمة الاقتصادية ، د . أحمد أنور ص ٧١ ومابعدها من إصدارات مهرجان القراءة للجميع – الأعمال الفكرية – ٢٠٠٤ م .

(٢) انظر الآثار الاجتماعية للعولمة الاقتصادية ، د . أحمد أنور ص ٧٢ .

(*) مثل قضايا الفساد الكبرى التى منيت بها مصر مؤخراً كاستلاب أموال البنوك فى صورة قروض بلغت مئات المليارات من الجنيهات ، أو غيرها من قضايا الفساد الإدارى فى شركات شهيرة فى قطاع الالكترونات والزراعة والمجتمعات العمرانية الجديدة مما تطالعنا به الصحف كل صباح ويثير النفس حزناً على الوضع الاقتصادى العام بين طبقة فاسدة ناهبة وأخرى منهوبة .

بالإضافة إلى تميز هذه الطبقة الطفيلية بارتفاع ميلها للاستهلاك الترفي الاستفزازى للسلع المختلفة مما يثير غيرها من الطبقات متواضعة الدخل فيحدث تناقض اجتماعى يذهب بالطبقة الفقيرة إلى السعى نحو كسب المال بأى وسيلة وبالتالى تندفع إلى الجريمة ، فيمثل ذلك فصام واضح بين الجهر والكسب والعزوف عن العمل المنتج ، مما سهل انتشار قيم التسلق والانتهازية والوصولية . (١)

وسيطر الحديث عن المال والاستثمار بين العامة والخاصة بينما نحن أحوج مانكون إلى التحذير من فتنة المال وذم التعلق المهلك بالدنيا والتنافس على تحصيل ملذاتها والالتفات إلى إصلاح أوضاعنا بين الأمم ولقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول : " . . . فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم " . (٢)

وأضحت القيم الإسلامية الثابتة المطلقة الصالحة لكل زمان ومكان بمصدرها الإلهى ، قيماً سلبية لا مكان لها داخل بعض المجتمعات الإسلامية ذات الطبقات الطفيلية وأخلاق السوق التى لا يستطيع مجاراتها غير القادرين من أصحاب الأجور المتواضعة وفى الوقت نفسه لا يملكون الإفلات من ضغوطها . . . ولا تعليق .

فإذا ما انتقلنا إلى جانب آخر من الجوانب السلبية للعولمة على العالم الإسلامى ألا وهو :

---

(١) انظر سياسة بديلة للانفتاح ، أ . إبراهيم العيسوى ص ٥٢٦ عن الآثار الاجتماعية للعولمة الاقتصادية ص ١١٦ .

(٢) جزء من حديث فى الصحيحين رواه البخارى عن عمرو بن عوف ﷺ تحت رقم ٦٤٢٥ وصحيح مسلم تحت رقم ٢٩٦١ .

عولمة التعليم واللغة :

فإن عولمة التعليم تتخذ من الدعوة إلى إصلاح التعليم طريقاً لتغيير المناهج التعليمية فى البلدان الإسلامية ، ومراجعة الكتب المقررة على الطلاب كتاباً كتاباً بدعوى أن نظام التعليم فى البلاد العربية والإسلامية لا يتفق مع نظريات التعليم والتربية الحديثة ، ومقتضيات العصر ، ومن ثم فهو يخلق عقليات متبلدة عاجزة عن الابتكار ، وكذا بزعم التخفيف ممايسمى بمناهج الإرهاب فى المدارس والجامعات الدينية ، ليتسنى لها فى النهاية حذف مالا يجوز – من وجهة نظر القائمين على عولمة التعليم – و إحلال غيرها محلها ، وبخاصة مايسمى بقيم الديمقراطية والتسامح مع الآخر ، أو إزالة الإشارات التى تنطوى على تقديس الحاكم أو تمجيده !!! مع أن إصلاح التعليم شأن داخلى بحت . [١]

ومع أن هذه التغيرات المزمع تنفيذها فى ميدان التعليم – على اختلاف مراحله – فى العالم الإسلامى والعربى ، " لا علاقة لها بالإصلاح أصلاً ، بل هى فى حقيقتها أقرب إلى افساد ، وهو بالطبع مايجب أن نتوقعه ، وألا نتوقع شيئاً غيره ، والزعم بغير ذلك خداع كريه كان من المفروض أن يكون واضحاً كالشمس " . [٢]

والله تعالى يقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [٣] .

---

(١) انظر عولمة القهر ص ٥٠ .

(٢) عصر التشهير بالعرب والمسلمين ، د . جلال أمين ص ٥١ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١١٨ .

ومن سلبيات عولمة اللغة والتعليم :

سيطرة اللغات الأجنبية ، كالإنجليزية والفرنسية وما لها من أثر كبير على اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، وبنظرة سريعة على مناهج التعليم فى العالم العربى والإسلامى ، لتوضح لنا كيف ينقسم العالم الإسلامى إلى معسكرين ، أحدهما يدرس اللغة الإنجليزية لأبنائه كلغة ثانية ، كما هو الحال فى مصر ودول الخليج العربى والسودان وباكستان ودول جنوب وشرق آسيا ، والثانى يدرس اللغة الفرنسية كدول المغرب العربى وبلاد الشام .

أضف إلى ذلك الانتشار الكبير للهجات العامية – المحلية – فى بعض المطبوعات ، والإذاعات ، وبين الناس ، بل والخطابات الرسمية لبعض المسئولين ، مع المحاولات المستمرة لإيجاد ترسيخ تاريخى لهذه اللهجات العامية بدعوى الحفاظ على التراث – أو مايسمى بالفلكلور – .

ومما لاشك فيه أن فى ذلك كله إبعاد حثيث عن لغة القرآن الكريم والسنة لنبوية ، وفهم المنهج الإسلامى ، لبناء حواجز بينهما وبين عقول وقلوب المسلمين وألسنتهم . [1]

وبالنسبة للأثر السلبى لعولمة الثقافة والإعلام والأخلاق :

فإن مايعانيه العالم الإسلامى – الآن – من تلوث ثقافى سمعى وبصرى عبر القنوات الفضائية الى لا حصر لها ؛ ليصور لنا كم الانحطاط الأخلاقى الذى وصل إليه الإعلام العربى بما ينتجه من أفلام ماجنة ، ومسلسلات هابطة ، وإعلانات مثيرة ، وبرامج ذات حوارات مريبة وألفاظ خارجة ، وأغانى مصورة طابعها العام – جميعا – العرى والغواية . كل ذلك لا يستهدف سوى إيقاع

---

(1) انظر مقال فى العولمة اللغوية ، لهيثم بن جواد الحداد ، منشور بمجلة البيان الصادرة فى لندن ، عدد سابق ذكره .

الشباب المسلم فى مستنقع الرذيلة بتقليدهم لهذه المواد الإعلامية والقائمين عليها . الذين زودوها بكل أنواع الإبهار فى التصوير والألوان والملابس الصارخة الخارجة وذلك كله باسم التحضر والتحرر . [١]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

هذا بخلاف الجرأة المتناهية فى إثارة أمور معلومة من الدين بالضرورة من تقديس لله تعالى وتوقير لرسوله ﷺ وسائر ثوابت العقيدة والشريعة فى الإسلام مما لا طائل من ورائها سوى بلبلة الأفكار والقيم وإثارة الشكوك حول ثوابت العقيدة والقيم الأخلاقية ، وإسقاط رموزها ومسلماتها التى لا ينبغى أن تمس ولا تقبل النقاش ، وتأتى مسألة الحجاب التى يثيرها العلمانيون فى زعمهم بعدم فرضيته على رأس القائمة – دوماً – ومن قبلها أزمة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ – قبح الله راسمها وأهله – وقد أثارتها بعض وسائل الأعلام المختلفة بصورة لا تتناسب مع حجم الجرم المرتكب فى حقه ﷺ لأنها لا تبغى سوى الإثارة وفتح المجال للأخذ والرد فيها بزعم إتاحة الفرصة لحرية التعبير ، وحرية العقيدة ؛ بل واستثمار المناسبات المختلفة لإظهار المسلمين فى رفضهم المساس بعقيدتهم ورسولهم وسائر ثوابتهم ، بأنهم لا يملكون أداة الحوار ؟؟؟!!! وهذا كله من جراء عولمة الثقافة والإعلام .

وفى سياق سلبيات عولمة القيم والأخلاق :

نجد عملية تضليل كبرى للمفاهيم الأخلاقية والأولويات لاجتماعية ، يكمن

---

(١) انظر مقال حول ثمرة الفضيلة ، أ . أحمد بن عبد الرحمن الصويان ، مجلة البيان عدد ١٦١ .

(٢) سورة النور : آية ١٩ .

وراءها الرغبة فى إشاعة المفهوم الغربى للأخلاق والاجتماع وبخاصة فى مجال الأسرة ، مع التركيز على قضية المساواة التماثلية لا التكاملية بين الرجل والمرأة ، دون أى اعتبار لفروق طبيعية جسدية ، أو نفسية ، أو عقلية ، مع التشجيع الدائم للمرأة على التمرد على دينها وتقاليد مجتمعها الإسلامى ، بل وعلى طاعة زوجها وخدمة أسرتها بزعم أنها لا تؤجر – مادياً – على ذلك ، ويستقطع من وقتها الخاص .

وتجاهل المسلمون من مؤيدى عولمة القيم والأخلاق والمرأة قوله تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ** ﴾ (١) .

أين هؤلاء من قوله عز وجل : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** ﴾ (٢)

لقد حسم الإسلام موضوع العلاقة بين الرجل والمرأة لا على أساس من النوع – ذكورة أو أنوثة – وإنما على أساس من التقوى والقرب من الله والممارسة الفعلية لقيم الإسلام ومبادئه لبناء مجتمع إنسانى على أساس من العفة والطهارة والمساواة فى الحقوق والواجبات مع مراعاة طبيعة وفطرة كل نوع .

والطامة الكبرى فى مجال عولمة القيم والأخلاق والاجتماع ؛ تكمن فى قيام بعض المنظمات النسائية فى البلاد العربية والإسلامية بالترويج لهذه المفاهيم المغايرة تماماً لطبيعة مجتمعنا الإسلامى ، ولها منظومة قانونية وأخلاقية مختلفة تماماً عن منظومتنا التشريعية والأخلاقية المستقاه من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٩٥ .

(٢) سورة النساء : آية ١٢٤ .

ومما يؤدى إلى الحسرة ؛ أن المؤتمرات العالمية التى تقيمها المنظمات التابعة للأمم المتحدة ، ويتم الترويج فيها لهذه التراهات والمفاهيم الإباحية اللاأخلاقية بدعوى التحضر والتحرر والتقدم والمساواة ، يتم التحضير لها أو متابعة برامجها عبر مؤتمرات تحضيرية أو بحثية فى البلدان الإسلامية ؟!! مع تزايد النشاط النسوى الوافد بما يحمله من فكر تغريبى فى بلاد المشرق العربى والمغرب العربى على السواء .

فمثلاً : مؤتمر بكين الذى عقد بالصين عام ١٩٩٥ م وتوصياته الإباحية التى تضمنتها وثيقته ، المطالبة بتقنين الشذوذ والإجهاض وهدم الكيانات الأسرية الطبيعية ، قبل بعقد جلسات تحضيرية له فى بلدان إسلامية كالأردن ، وبمشاركة بعض الجمعيات النسائية هناك . (١)

كما أقيم بتونس والمغرب عدة مؤتمرات عام ١٩٩٩ م تابعة للمركز الإفريقى التابع للجنة الأمم المتحدة ، بهدف متابعة مقررات مؤتمر بكين .

وعقد مؤتمرين آخرين فى عمّان – الأردن – ، وبيروت أواخر نفس العام لنفس الغرض ، وبرعاية اللجنة الاجتماعية والاقتصادية لغرب آسيا – وهى مؤسسة تابعة للأمم المتحدة . (٢)

وهذه المؤتمرات تعقد بهدف الضغط على الحكومات الإسلامية ، لتوظيف سلطانها فى خدمة تنفيذ مايصدر من توصيات عن هذه المؤتمرات بدافع من التمويل الأجنبى المشبوه للمنظمات النسائية أو حتى بالتلويح بورقة حقوق الإنسان ، واضطهاد النساء والأطفال ، ويتم ذلك بصورة واضحة فى مجتمعات

---

(١) انظر فى ذلك مقال حول الهجمة على العقيدة والنظام الاجتماعى للإسلام أ . أحمد عبد الدايم أبو نصره ، البيان عدد ١٦١ ، وكذا مقال آخر حول الأعلام الإسلامى وتحديات العولمة ، سابق ذكره ، وفى نفس الموضوع انظر مقال حول العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة ، أ . فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم ، نفس المصدر .

(٢) المصدر / ذاته .

إسلامية مشهورة بمحافظتها على العقيدة والأخلاق الإسلامية والقيم الدينية.[١] (*)

هذا كله بتصير المرأة المسلمة نسخة مكررة عن المرأة الغربية بدلاً من أن يذكروها العولميون وهم من المسلمين والمسلمات بقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ . . . ﴾[٢]

ويحضرنى فى هذا المقام مايجب الإشارة إليه ، فهو من المواقف الإيجابية التى لايمكن التغاضى عنها خاصة إذا كانت صادرة ممن فى مكانة الإمام الأكبر الراحل الشيخ (جاد الحق على جاد الحق) – طيب الله ثراه – الذى عارض بشدة بنود وثيقة مؤتمر الأسرة والسكان الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤ م ، وأعلن مخالفته الصريحة لشريعة الإسلام وكان هذا الموقف الشجاع من عالم كريم فى مكانة الإمام الأكبر ، بداية لازدياد الوعى الإسلامى بهذه المؤتمرات المشبوهة ، ورصد مؤتمراتها وكشف زيغها وبالتالى مناهضتها بمؤتمرات ومقررات إسلامية فى كافة المجالات الإنسانية وليس فى مجال الأخلاق والأسرة فقط .

---

(١) انظر مقال العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة ، مصدر سابق ذكره .

(*) أشير بذلك إلى تحقيق مثير للسخرية والتعجب فى آن واحد ، نشرته إحدى الصحف الخليجية بهدف الحشد لاستصدار قانون لتأخير سن الزواج بين الشباب والفتيات فى بلدة خليجية تعانى من (العنوسة) بين أبنائها . وهنا تكمن المفارقة المثيرة للشفقة والسخرية فى آن واحد فأى قانون تأخير لسن الزواج فى ظل تفشى العنوسة بصورة طبيعية ؟؟!! إنما هو التقليد الأعمى والتبعية المقيتة للغرب .

(٢) سورة النور : الآيات ٣٠ ، ٣١ .

بكل ماسبق تتكشف لنا بعض الآثار السلبية للعولمة على عالمنا الإسلامى ، وفى الوقت ذاته تكشف لنا عما يعانيه المسلمون فى ظلها ، ومع ذلك فالأمل مازال مرجواً فى الثبات فى وجه هذه السلبيات ، وفى ظهور عالمية إسلامية حقيقية بدلاً من عولمة مهيمنة ذات قطب أوحد ، هى فى الحقيقة الوريث الشرعى للاستعمار بنوعيه العسكرى والفكرى .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة آل عمران : آية ٢٦ .

(٢) سورة النور : آية ٥٥ .

خاتمة حول حقيقة العولمة وموقف الإسلام منها

بعد كل ماسبق من عرض بقضية العولمة بجوانبها الإيجابية القليلة والسلبية الكثيرة يتحتم علينا إجمال القول فيما يلى :

** **أولاً دعونا نتفق** على أن العولمة ظاهرة قديمة جديدة – على السواء – ، وتمثل بالنسبة لنا كمسلمين فى صورتها الآنية نوعاً جديداً من التحديات التى تفرض علينا – دائما – من خارجنا فى محاولة فجة لغزونا ليس فقط فكرياً ، وإنما سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً وأخلاقياً بما لها من معالم نظرية وأخرى تطبيقية تحت مسمى (النظام العالمى الجديد) ، ولكن الغزو هذه المرة يأتى جارفاً جامحاً لا يراعى هوية ولا خصوصية ، إنه يريد أن يذيب كل شئ فى سبيل وجوده الذاتى ، مستغلاً فى ذلك كل ما أمكنه – ويمكنه – من وسائل التقدم التقنى وخلافه . إن العولمة بحق فتنة كبيرة للناس .

** **ثانياً ودعونا نتفق على** : أن للعولمة من الخصائص والأوجه المتعددة ما يجعلها شديدة التعقيد ، متشابكة العلاقات ، كثيرة التناقضات للدرجة التى تتمثل فى عدم الوقوف – حتى الآن – على تعريف جامع مانع ، موحد وثابت يعكس لنا حقيقتها المطلقة ، فكل ماعُرفت به كان من قبيل الاجتهاد بعرض لأحد ملامحها الظاهرة ، فالمؤيد لها ينظر إليها باعتبارها هدفاً للإنسانية – كلها – فى سعيها التاريخى نحو التقدم ، والرافض لها يعتبرها وسيلة الأقوياء للسيطرة على الضعفاء – أفراداً وجماعات ، ودول .

** **ثالثاً ودعونا نتفق على** : أن الأمة الإسلامية – التى تمثل مايزيد عن خمس سكان المعمورة – تعيش أحرج لحظاتها التاريخية بهوانها على نفسها أولاً ، وبهوانها على الناس ثانياً ، فصارت فى حالة أقل ماتوصف به أنها عاجزة مسلوبة الإرادة ، فقر وإفلاس فى كل شئ ، وركون وتواكل وتبعية فى كل المجالات ، وكلما أرادت لنفسها خروجاً من هذا الوضع الأليم ، صرخ

(الآخرون) : أصوليون ارهابيون لابد من القضاء عليهم – فليس ثمة أمان لأى مسلم ولا لثقافته ولا لدينه ولا لأى شئ يتعلق به مطلقا .

** **رابعاً ودعونا نتفق** : أن التفاعل الحضارى ضرورة إنسانية لبقاء النوع الإنسانى ، وأن الانغلاق والتبعية الحضارية مؤديان لقتل الإنسان وإبداعه

وبناءً عليه : لابد للأمة الإسلامية من العودة إلى التفاعل الحضارى والاستفادة من الحضارات الإنسانية ، لا كمستهلك وإنما لإعادة البناء والانطلاق فى كافة المجالات فليس من العيب أن نتفاعل مع (الآخر) ونستفيد منه ، ولكن العيب كل العيب أن نظل على تلك الحالة من التدهور البالغ فنبقى على أنفسنا منغلقين ، تابعين ، خاصة ونحن نملك من القيم والمبادئ العقدية والتشريعية مايجعلنا فاعلين ومؤثرين ، ومحصنين ضد أى عملية للتوحد – التنميط – حتى على الأقل نستفيد من هذا (الآخر) الذى سبق واستفاد من حضارتنا الإسلامية كثيراً وأسس عليها حضارته التى يتفاخر بها الآن – فالحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة – هى بضاعتنا ردت إلينا مع اختلاف واضح يحمل طابع السيد الجديد ولا ضير من الاستفادة منه وإعادة صبغته بمبادئنا الإسلامية .

وحتى إذا لم يمكننا اليوم الوصول إلى درجة عالية من التقدم التقنى وخلافه – لأن ذلك سيستغرق وقتا طويلاً – فإنه يمكننا على الأقل أن نوجد لأنفسنا أنماطاً متوازنة ، ونظام جديد نحترم فيه أنفسنا حتى يحترمنا الآخر نظام تمتزج فيه الأصالة بالمعاصرة ، يتزاوج فيه ماهو دينى ثابت بما هو دنيوى متغير شأننا فى ذلك شأن النموذج الحضارى الإسلامى اسجاماً وتوافقاً بين العقل والروح والمادة .

وينبغى علينا فى تفاعلنا المأمول أن نضع فى الحسبان : أن هناك حدوداً يجب مراعاتها ونحن نتعامل مع (العولمة) شأنها شأن أى فكر وافد ، ليس من أقل هذه الحدود تفعيل الحوار مع الآخر فى عولمته انطلاقاً من قيمنا الإسلامية

النابعة من الفطرة الإنسانية التى فطر الله تعالى الناس عليها ووفقا لتعاليم الإسلام العقيدية والتشريعية .

إن بقائنا – الآن – كأمة إسلامية مرهون بتحقيق هذا الانسجام لمواجهة انحرافات وسلبيات العولمة بعيدا عن الانعزالية أو الانغماس والتنميط . لأن الإشكالية الأساسية ليست فى موقف الإسلام من العولمة فإن العولمة شأنها شأن أى فكر وافد على عالم الإسلام من خارجه ، يمكن للإسلام بقيمه الأصيلة استيعابها بما فيها من جوانب إيجابية ويتعامل مع سلبياتها على أسس ومبادئ عقيدية وتشريعية ثابتة .

فليست العولمة أول تيار أو مذهب أو حتى نسق فكرى أيديولوجية يغزو العالم الإسلامى ، ولن تكون الأخيرة ، فقد سبقها الكثير والكثير من الأنماط والأنساق الفكرية على كافة الأصعدة ، كانت أخطرها على الإطلاق – الشيوعية – بما رفعته من شعارات ودعاوى زائفة حول المساواة بين البشر ونصرة الكادحين والمستضعفين ، ومع ذلك أمكن للمبادئ الإسلامية الثبات فى وجهها وفضح مساوئها التى تتنافى مع الفطرة وأثبت عدم صلاحيتها مع صيرورتها فى وقت من الأوقات دستور وأيديولوجية لدولة كانت عظمى إلى وقت قريب وخشى بأسها القاصى والدانى . ولكنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا فى أن كل ما يخالف فطرة الله فى الخلق لاضمانة له من بقاء .

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [1] .

فكم لبثت الدول حامية الشيوعية المدعمة بشتى أنواع الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى والتسلط على الشعوب وسلب حرياتها ؟؟ لبثت سبعين سنة وبضع سنين وهى فترة ليست بالتى يلتفت إليها فى عمر الأمم إنما تحسب

---

(1) سورة يونس : آية ٨١ .

تاريخ الأمم وتقدمها بالقرون لا بالسنين . ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾ [١] فقد سقطت الكتلة الشيوعية – الدولة تلو الأخرى كما تتساقط أوراق الأشجار الصفراء الذابلة ووطأتها الأقدام – وكانت أقدام الشيوعيين أسبقها جميعاً .

﴿ **وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون** ﴾ [٢] .

وإنما الإشكالية الأساسية تكمن فى موقفها – كفكر تغريبى – من المسلمين وفى موقف (المسلمين) منها وعلاقتهم بها . لامن حيث الاعتراف بالعولمة أو إنكارها وإنما من حيث الكيفية التى ينبغى عليهم التعامل بها مع العولمة ، فإما التفاعل مع جوانبها الإيجابية ونبذ جوانبها السلبية ومواجهتها على أساس من العقيدة الإسلامية والتحصن بثوابتها وأخلاقها ، وبذل أقصى الجهد فى تحصيل العلم وسبل التقنية الحديثة وزيادة الإنتاج ، ومالا يدرك كله لا يترك جله . وإما الانعزال والتجاهل والشجب والتنديد والإدانة . فلا نرى منها إلا هيمنتها وإزدواجيتها .

إن مسئولية الأمة الإسلامية فى الوقت الراهن أعظم وأخطر مما يتصور ، لما يقع على عاتقها كخير أمة أخرجت للناس من ضرورة إظهار النموذج الإسلامى الحقيقى لما ينبغى أن تكون عليه (العالمية) الحقيقية بعيداً عن التنميط والهيمنة والازدواجية والتأكيد على أن الإسلام دعوة عالمية إلى الأخوة الإنسانية وعلى صلاحيته لكل زمان ومكان .

فإنه لم يتنزل ليجارى أهواء وانحرافات البشر وإنما ليصححها ويقومها ويعطى النموذج الأمثل لها .

ولعلنا هنا نتذكر قوله عز وجل على لسان موسى عليه السلام لقومه

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٤٠ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٩ .

﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

ونتذكر أيضا وعده جل وعلا لعباده المؤمنين الصالحين . ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

ولن يكون ذلك إلا بممارسة النقد الذاتى باستمرار ، وألا نغفل عن تنبيه الغافلين وإيقاظ النائمين للمشاركة فى صنع مستقبل الإنسانية بأسرها وليس الأمة الإسلامية وحدها .

وفى النهاية أدعوا المولى سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى عرض قضية العولمة مالها وما عليها وخاصة آثارها السلبية على الأمة الإسلامية وحسبى أنى بذلت فى ذلك جهدى لبيان وجه الحق فيها .

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ (٣)

والله من وراء القصد نحمده فى الأولى والآخرة

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحثة

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٢٨ .

(٢) سورة النور : آية ٥٥ .

(٣) سورة الرعد : آية ١٧ .

مصادر البحث

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : الحديث النبوى الشريف .

ثالثاً : المصادر :

١ – الآثار الاجتماعية للعولمة الاقتصادية ، د . أحمد أنور – من إصدارات مهرجان القراءة للجميع – الأعمال الفكرية – ٢٠٠٤ م .

٢ – الإرهاب وأمريكا والإسلام – د . وحيد عبد المجيد – من إصدارات مهرجان القراءة للجميع – الأعمال الخاصة – ٢٠٠٤ م .

٣ – الإسلام فى حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، أ . د / محمد البهى ط٢ – القاهرة – وهبة – ١٩٧٨ م .

٤ – الإسلام فى حياة المسلم – د . محمد البهى – ط٥ – القاهرة – وهبه – ١٩٧٧ م .

٥ – الإسلام فى عصر العولمة – أ . د / محمود حمدى زقزوق – ط١ – القاهرة – مكتبة الشروق – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

٦ – الإسلام فى القرن العشرين – حاضره ومستقبله – أ . عباس محمود العقاد – القاهرة – نهضة مصر – د . ت .

٧ – الإسلام ضرورة عالمية – أ . زاهر عزب الزغبى – القاهرة – الهيئة العامة للكتاب ١٩٧١ م .

٨ – الإسلام والأمن الاجتماعى – د . محمد عمارة ط١ – القاهرة – دار الشروق – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

٩ - الإسلام والإنترنت - أ . أحمد جوهر محمد - المنصورة - دار الكلمة - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٠ - الإسلام وحدائق الشيطان - أ . محمد عبد المنعم - من إصدارات مهرجان القراءة للجميع - ٢٠٠٠ م .

١١ - الإسلام والحداثة - د . مصطفى الشريف - ط١ - القاهرة - دار الشروق - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

١٢ - الإسلام ومشكلات الحضارة - أ . سيد قطب - ط٢ - القاهرة - دار الشروق - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

١٣ - أصول الفقه - الإمام الشيخ / محمد أبو زهرة - القاهرة - الفكر العربى - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

١٤ - الأعلام بمناقب الإسلام - أبى الحسن العامرى - تحقيق د . أحمد عبد الحميد غراب - القاهرة - الكاتب العربى - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

١٥ - الاقتصاد فى الإسلام - أ . عبد الحميد ابراهيم سرحان - القاهرة - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

١٦ - أمريكا طليعة الانحطاط - المفكر الفرنسى / روجيه جارودى - القاهرة - دار الشروق - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

١٧ - حفارو القبور - المفكر الفرنسى / روجيه جارودى - القاهرة - دار الشروق - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

١٨ - الخطاب الدينى والواقع المعاصر - د . أحمد عبد الرحيم السايح - العدد ١٢٨ - سلسلة قضايا إسلامية - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

١٩ - دور الدولة والمؤسسات فى ظل العولمة - د . فتحى أبو الفضل وآخرين - من إصدارات مهرجان القراءة للجميع - ٢٠٠٤ م .

٢٠ - الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم - د . محمد البهى - ط٢ - القاهرة - وهبه - ١٩٨٠ م .

٢١ - السوق العربية المشتركة بين التزامات منظمة التجارة ومزاياها - أ . أحمد أبو الحسن زرد - القاهرة - الهيئة العامة للاستعلامات - ٢٠٠٠ م .

٢٢ - السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط - أ . كمال الهلباوى - إصدار معهد الدراسات السياسية - القسم العربى - إسلام آباد - باكستان - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

٢٣ - العدالة الاجتماعية فى الإسلام - أ . سيد قطب - ط ١١ - القاهرة - دار الشروق - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢٤ - عصر التشهير بالعرب والمسلمين - د . جلال أمين - من إصدارات مهرجان القراءة للجميع - الأعمال الفكرية - ٢٠٠٤ م .

٢٥ - العولمة وآثارها على أفريقيا - أ . جوزيف رامز - القاهرة - الهيئة العامة للاستعلامات - ٢٠٠١ م .

٢٦ - عولمة القهر - د . جلال أمين - ط١ - القاهرة - دار الشروق - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .

٢٧ - العولمة - د . جلال أمين - القاهرة - دار المعارف - د . ت .

٢٨ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - ابن رشد - تحقيق د . محمد عمارة - ط ٣ - القاهرة - المعارف - د . ت .

٢٩ - فى الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام - أ . د / شوقى إبراهيم على - ط ١ - القاهرة - دار الطباعة المحمدية - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٣٠ - الفكر الدينى وقضايا الأمة الإسلامية - د . محمود حمدى زقزوق - العدد

١٢٧ – سلسلة قضايا إسلامية – إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة .

٣١ – قضية المنهجية فى الفكر الإسلامى – د . عبد الحميد أبو سليمان – إصدار المعهد العالمى للفكر الإسلامى بواشنطن – ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .

٣٢ – الوطنية فى مواجهة العولمة – د . محمد رؤوف حامد – القاهرة – دار المعارف – د . ت .

٣٣ – المسلمون والعولمة – أ . محمد قطب – ط١ – القاهرو – دار الشروق – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

٣٤ – المقالات المحظورة – أ . فهمى هويدى – ط١ – القاهرة – دار الشروق – ١٤١٨ هـ – ١٩٩١ م .

٣٥ – من فقه الدولة فى الإسلام – د . يوسف القرضاوى – ط٢ – القاهرة – دار الشروق – ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

رابعاً : الدوريات :

** جريدة الأهرام المسائى – عدد ٧ / ١٠ / ٢٠٠١ م .

** صحيفة الخليج الإماراتية ١٠ / ٨ / ٢٠٠٠ م .

** مجلة البيان الإماراتية – عدد ٢٣ / ٣ / ٢٠٠٠ م .

** مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامى بلندن – العدد ١٦١ – مقالات متعددة .

** مجلة البيان – الصادرة عن المنتدى الإسلامى بلندن – العدد ١٧٠ – مقالات متعددة .

** مجلة العربى – عدد ٤٩٤ يناير ٢٠٠٠ م .

** مجلة المستقبل العربى ٢٢٨ – عدد فبراير ١٩٩٨ م .

** مجلة المستقبل العربى ٢٢٨ – عدد مارس ١٩٩٩ م .

خامساً : رسائل علمية :

** العلمانية بين أنصارها وخصومها فى مصر من العقد السابع من القرن العشرين حتى الآن – دراسة مقارنة .

رسالة دكتوراه إعداد الباحثة – تحت إشراف أ . د / عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .